قصص وموضوعات للأطفال

فتشوا الكتب ١٤٢قصص وموضوعات للأطفال تأليف: ستيوارت هتشنسون تعريب: فؤاد زكي
باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين
مطبعة الخـــلاص

مقدمة

ما أكثر المرات التي فيها أحاطت بي ابنتاي الصغيرتان، أو جلست أحداهما بجانبي والآخرى على ركبتي، وطلبتا قائلتين: "بابا، من فضلك أحك لنا حكاية". وفي أغلب المرات كنت أجد نفسي في حيرة من أمري، فقد نضب معين القصص والموضوعات التي أعرفها، وأصبحت بالنسبة لهما معادة ومكررة. أو أن ذهني في تلك الساعة يأبى أن يعمل بالسرعة الكافية ليسترجع قصة تفي بالغرض، وتناسب المجال. ورغم اقتناعي الكامل بأهمية القصص كوسيلة من أهم الوسائل وأكثرها فعالية في تعليم الأطفال وتثقيفهم، سيما في المجال الروحي، فإني كثيراً ما كنت أحس بالضيق والعجز لعدم استطاعتي إجابة طفلتي لمطلبهما. لذلك، فبمجرد أن وقع هذا الكتاب بين يدي سارعت بتعريبه ليسد فراغاً ملموساً في مكتبة الطفل المسيحي، ويكون عوناً لكل من يعملون في حقل مدارس الأحد أو في اجتماعات الفتيان والزهرات. وأصلي إلى إلهي، الذي قال: "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت ١٩: ١٤) أن يستخدمه سبب فائدة وبركة لأولادنا وبناتنا. آمين.

المعرب

(١)
العطاء
" الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ " (٢كو ٩: ٧)

هناك أسطورة شيقة يتناقلها الهنود الحمر في أمريكا عن أوراق الشجر والطيور. فيقولون أنه منذ مدة طويلة جداً عندما كان الروح العظيم مشغولاً بتجميل الأرض، فإنه أينما ذهب كانت الأشجار والنباتات والأزهار تكسو وجه الأرض. وكانت أوراق الأشجار في منتهى السعادة مما جعلها تقضي كل اليوم في الغناء. وفي ذات صباح أتت الريح وأخبرت أوراق الأشجار أنها عما قريب سوف تسقط إلى الأرض وتجف، وتموت، وتنسى تماماً. حزنت أوراق الأشجار عندما سمعت كلام الريح، فتوقفت عن الغناء إلى حين. لكن بعد فترة، عندما تذكرت الأوراق كيف أن غناءها يسعد الشجرة العجوز، عادت للغناء مرة أخرى، ونسيت تماماً كل ما تحدثت به الريح. ويوماً ما جاء الخريف، وبدأت البرودة تسود الأرض. وهبت الريح، وبدأت أوراق الشجر تتساقط إلى الأرض. وبدأت الشجرة العجوز تفقد أوراقها واحدة بعد الأخرى إلى أن تجردت من أوراقها تماماً.

وبينما الأوراق المتساقطة مطروحة على الأرض، مر بها الروح العظيم، فقال في نفسه: " أنه لأمر محزن أن تموت هذه الأوراق الجميلة ويصيبها الفناء". وقرر أن يعيدها إلى الحياة مرة أخرى. فأعطى لكل ورقة زوجاً من الأجنحة، وعلمها كيف تطير، فصارت طيوراً جميلة. أحداها بنية بلون العصفور، والأخرى

رمادية بلون البلبل، وثالثة بلون الكناري الصفراء. ويا لها من مجموعة بديعة من الطيور! وما أسرع ما طارت وحلت على أغصان الشجرة الجرداء العجوز. لقد كان على الشجرة أن تفقد أوراقها، لكن بعد فترة وجيزة إذا بها تعود إليها أجمل بكثير مما كانت. ما الذي نتعلمه من هذه الأسطورة الطريفة؟ إنها تعلمنا أن ما نضحي به من أجل الله لابد وأن يرده لنا في صورة أفضل وأجمل. مرة، عندما كان الرب يسوع على أرضنا، كانت تحيط به جموع من البشر الجياع، في بقعة جرداء ليس بها ما يؤكل. لقد مكثوا معه اليوم كله دون أن يأكلوا شيئاً، ولم تكن هناك محلات يمكن أن يبتاعوا منها طعاماً. وكانت بيوتهم بعيدة فلا يستطيعون أن يرجعوا إليها قبل المساء. فطلب يسوع من تلاميذه أن يقدموا طعاماً للجموع ليأكلوا، لكن التلاميذ لم يكن لديهم ما يقدمونه. فأمرهم يسوع أن يبحثوا عن أي طعام يجدونه مع الجمع، وبعد فترة من البحث عادوا إليه وأخبروه أنهم لم يجدوا سوى خمسة خبزات وسمكتين صغيرتين مع ولد بين الجمع، أعطته أمه إياها ليأكلها عندما يجوع، وهذا هو كل ما وجدوه لدى كل هذه الآلاف من الناس. فدعا يسوع الولد إليه وطلب منه أن يعطيه ما لديه من طعام. تردد الولد في بادئ الأمر، فقد كان هو نفسه جوعان، لكن الأولاد كانوا يحبون يسوع، ولذلك فقد أجابه إلى طلبه. فأخذ يسوع هذا الطعام القليل وباركه، حتى صار كافياً لإشباع كل الآلاف التي حوله، وبعدما شبعوا جميعاً جمعوا ما فضل عنهم فملأ اثنتى عشرة سلة كبيرة. فأعطاها للولد، ولكونه لا يستطيع حملها بمفرده اضطر أن يستعين ببعض أصدقائه. لقد أعطى القليل الذي معه

للرب، فرده له الرب أكثر بكثير مما يستطيع أن يحمل. ولما عاد إلى منزله في تلك الليلة، أعتقد أنه كان في منتهى السعادة والفرح لأنه أستطاع أن يقدم شيئاً ما ليسوع، وكان الفرح يغمره وهو يرى أمه ما أعطاه له يسوع. فكر فيما كان يمكن أن يخسره هذا الولد، وأن تخسره معه الآلاف التي كانت حول يسوع، لو أنه كان أنانياً ولم يدع يسوع يستخدم القليل الذي كان معه!. مرة قال رجل صالح: "لقد عشت سنين كثيرة، وحصلت على اختبارات كثيرة. ولقد اختبرت أفراحاً كثيرة في حياتي، ومعها اختبرت بعض الأحزان. لكني لم أختبر مرة واحدة أنني قدمت شيئاً ليسوع ولم يرده لي أضعافاً كثيرة". إن يسوع لا يمكن أبداً أن ينسى أية تضحية لأجله. أنه يتذكرها جميعها، ويردها للولد أو البنت أفضل وأكثر بكثير مما قدم أو قدمت.

(٢)
لنكن حكماء
"فَتِّشُوا الْكُتُبَ" (يو ٥: ٣٩)

كلكم رأيتم المبني الذي يحمل اسماً يقول: "المكتبة". وربما سأل بعضكم عندما رأى هذا الاسم مرة عن ما هي المكتبة. وكانت الإجابة على هذا التساؤل أن المكتبة هي مجموعة من الكتب. وبهذا المفهوم فإن الكتاب المقدس هو مكتبة قائمة بذاتها. فهو يحوي ٦٦ كتاباً من أنواع مختلفة. بعضها تاريخي، وبعضها رسائل كتبها رجال عظام. إنك تستطيع أن تجد كل هذا في هذه المجموعة الفريدة من الكتب التي اسمها "الكتاب المقدس". قد يقول أحد الأولاد أو البنات: "لقد حاولت قراءة

الكتاب المقدس، لكني لم أستطع أن أفهمه!". لكن هذا لم يحدث إلا لأنك لم تقرأ ما يناسبك من الكتاب المقدس. فإن ذهبت إلى مكتبة المدينة لتحصل على كتاب تقرأه، فإنك لا تدخل القسم المخصص لكتب الكبار. أنك حتماً سوف تتوجه إلى حيث توجد كتب الأطفال، وهناك سوف تجد ماتستطيع أن تقرأه وتفهمه. أن الكتاب المقدس مثل هذه المكتبة تماماً، ففيه كتب للكبار، وفيه أيضاً كتب للأطفال. وعندما تريد أن تقرأ الكتاب المقدس، اسأل والدك أو والدتك أو مدرسك أن يرشدك إلى الجزء من الكتاب الذي يناسبك. اسأل عن قصة يوسف، أو صموئيل، أو داود، أو أستير، أو الطفل يسوع. إن فعلت هذا فسوف تجد أنه لا توجد مكتبة أخرى في كل العالم تحوي قصصاً شيقة تناسب الأطفال مثل الكتاب المقدس.

وتوجد أجزاء في الكتاب المقدس يجدر بكل ولد أو بنت أن يحفظها عن ظهر قلب. مثلاً المزمور ٢٣، والمزمور ١٠٣، والجزء الأول من الأصحاح الخامس من إنجيل متى، وما كتبه بولس عن المحبة في الأصحاح ١٣ من الرسالة الأولى إلى كورنثوس. وهناك أمران هامان عن الكتاب المقدس يجب أن نتذكرهما باستمرار: أولاً أنه قد أعطى لنا ليرشدنا إلى الطريق التي يجب أن نسلكها. قال داود مرة: "سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي" (مز ١١٩: ١٠٥). هل حدث أنك ذهبت مرة لتتمشى في الريف حيث لا توجد أنوار ساطعة تنير الطرق؟ ربما حاولت أن تلزم الطريق، لكنك لم تستطع أن تراه أو تميزه. في الأول اصطدمت بشجرة، وبعد ذلك تعثرت في حفرة، وعندئذ قلت لنفسك: "يجب أن أحصل على نور". فعدت أدراجك، وأضأت

مصباحاً، وبدأت السير في الطريق من جديد. وحينئذ لم تصادف أية صعوبة لأن المصباح أنار الطريق أمامك. هذا ما قصده داود عندما تحدث عن الكتاب المقدس كالسراج والنور، فهو يرينا بوضوح أين يجب أن نسير. والسبب في أن بعض الأولاد والبنات يصادفون صعوبات كثيرة ويتعثرون ويسقطون هو أنهم لم يستنيروا في حياتهم بكلمة الله.

أما الأمر الثاني الذي يجب أن نعرفه عن الكتاب المقدس فيذكره بولس في رسالته إلى تيموثاوس إذ يقول: "[١٥]وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ" (٢تي ٣: ١٥). فالكتاب المقدس يستطيع أن يغير حياتنا ويجعلها مشابهة لحياة المسيح. حدثنا دكتور موفات، المرسل العظيم إلى أفريقيا، عن صبي راع للأغنام آمن بالمسيح. كان فيما مضى صبياً رديئاً للغاية، لكنه تعلم قراءة العهد الجديد فأصبح لطيفاً طيباً مهتماً بالآخرين. وفي ذات يوم جاء هذا الولد إلى دكتور موفات وهو مضطرب للغاية وأخبره أن كلبه أكل جزءاً من العهد الجديد، فطمأنه دكتور موفات بأنه سوف يعطيه كتاباً آخر. لكن هذا الوعد لم يكن له أي تأثير على الولد، بل قال للدكتور موفات:"أنني خائف على الكلب". فقال المرسل: "إن كان الكلب يستطيع أن يهشم بأسنانه قطعة عظم كبيرة، فلن يضره أنه أكل بعض القطع من الورق". فرد الولد: "ليس هذا ما أعنيه. فأنا كنت أكره أعدائي، وأود من كل قلبي أن أقتلهم، لكن بعد أن أعطيتني الكتاب المقدس وقرأت فيه عن يسوع بدأت أحب أعدائي. والآن بعد أن أكل كلبي جزءاً من العهد الجديد أخشى أنه هو أيضاً سوف يبدأ يحب الذئاب ويتركها

تأكل من القطيع ماتشاء!". لقد ظن الولد أن الكتاب المقدس الذي كان سبب تغييره، سوف يغير كلبه أيضاً! أنه لن يغير الكلاب، لكنه – بكل تأكيد – يغير كل يوم أولاداً وبنات ويجعلهم أكثر شبهاً بالرب يسوع.

(٣)
أقوى ما في العالم
" اِسْأَلُوا تُعْطَوْا " (مت ٧: ٧)

من أول الأمور التي نتعلمها بعد أن نبدأ الكلام، الصلاة. قال أحد عظماء الرجال، الذي عاش حتى بلغ التسعين من عمره، ويدعى مستر جلادستون، قال أنه ما من مرة آوى إلى فراشه ليلاً دون أن يركع على ركبتيه بجوار سريره ويردد الصلاة التي علمتها إياه أمه في طفولته: "الآن أنا أرقد لأنام.. وأسألك سيدي أن تحفظ روحي. وأن كنت أموت قبل أن أستيقظ.. أسألك سيدي أن تقبل روحي". عندما نصلي فنحن نتحدث إلى الله. لكن قد يسأل أحدهم: "أين يوجد الله؟. الله في السماء". نعم، لكنه هنا أيضاً. فالله يوجد في كل مكان. وقد يسأل ولد أو بنت قائلاً: "كيف أستطيع أن أعرف أن الله هنا؟ أنني لا أستطيع أن أراه!". بالطبع أنت لا تستطيع أن تراه، وتوجد أشياء كثيرة لا تستطيع رؤيتها، فأنت لا تستطيع أن ترى الريح وهي ترتفع بطائرتك الورقية إلى أعلى، كما أنك لا تستطيع أن ترى الكهرباء التي تحرك القطارات الجبارة السريعة. الله روح، والروح لا يرى. لكن عندما تصلي لا داعي للخوف فإن الله يسمعك، لأنه دائماً بجانبنا أينما نكون. أنه قريب منا جداً لدرجة أنه يستطيع أن يسمع الصلاة الرقيقة الهامسة.

لو أنني سألت عدداً من الأولاد عما يكون أقوى شيئ في العالم، فربما يجيبني كل منهم إجابة تختلف عن الآخر. فأحدهم يقول أن الفيل هو الأقوى، وآخر يقول إن أقوى ما في العالم هو ذلك المحرك الجبار الذي يحرك قطاراً طويلاً عرباته محملة بالبضائع، وثالث يقول أن الأقوى هو تلك الباخرة الحربية العملاقة التي تقف شامخة في الميناء.

لكن يوجد ما هو أقوى من هذه كلها. أنه الصلاة. لو أغلق الباب الخارجي الضخم لكنيسة كبيرة، فقد تجمع كل أصدقائك، وتحاولون معاً بكل قوتكم أن تفتحوا الباب، لكنكم لا تستطيعون. عندئذ تأتي فتاة صغيرة، معها قطعة معدنية صغيرة جداً، تضعها في ثقب القفل، وبكل سهولة وبدون أي عناء أو مجهود إذا بها تفتح الباب الكبير الذي أخفقت أنت وكل أصدقائك في فتحه. فهذا المفتاح الصغير في يد الطفلة الصغيرة قد استطاع أن يفعل ما فشل فيه عدد كبير من الأولاد مجتمعين. والصلاة هي المفتاح الصغير الذي يفتح باب مخازن الله المليئة بالصلاح المعد للذين يحبونه. وكل الذين لديهم هذا المفتاح يستطيعون الحصول على أمور وأشياء مدهشة من الله.

منذ زمن بعيد كانت أرض إسرائيل تعاني من جفاف شديد، فقد توقف المطر لعدة سنوات ولم يكن هناك ماء للشرب. فصعد إيليا النبي فوق أحد الجبال وصلى إلى الله أن يرسل المطر. ثم أرسل خادمه ليرى إن كانت هناك أية سحابة في السماء. فعاد الخادم وأخبره أنه لم ير ولا سحابة واحدة. لكن إيليا استمر مصلياً، وبعد أن صلى سبع مرات عاد إليه الخادم وأخبره أنه قد رأى سحابة صغيرة جداً. وحالاً بدأ المطر ينهمر.

لقد فعلت صلاة إيليا ما لم تقدر كل قوات الملك أن تفعله. لقد أنزلت المطر. هذا هو المفتاح الذي يستطيع الجميع أن يستخدموه إن أرادوا ذلك. أعرف شخصاً رجع إلى بيته متأخراً في ليلة ما، وعندما أراد أن يفتح الباب أكتشف أنه قد فقد المفتاح. حاول أن يدخل إلى البيت بأية وسيلة، لكن كل النوافذ كانت مغلقة بإحكام، وكان عليه أن يذهب إلى فندق ويقضي ليلته هناك. وهناك كثيرون لا يستطيعون أن يدخلوا مخازن بركات الله. لقد فقدوا المفتاح. لقد نسوا أن يصلوا. أما أنت، فاحرص على ألا تفقد هذا المفتاح المقتدر.

(٤)

صلوات غير مستجابة

"تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا" (يع ٤: ٣)

ليس من المحتم أن يعطينا الله دائماً ما نطلبه في صلواتنا، فإن فعل فربما يتسبب هذا في ضررنا. يوجد شاب سجين في سجن نيويورك لإرتكاب جريمة بشعة. ومرة قابلت رجلاً عجوزاً كان يعرف ذلك الشاب السجين طوال حياته. قال لي: "إن مشكلة هذا الولد هي أن أباه أفسده. لقد كان يعطيه كل ما يطلب. ولو كان الأب أكثر حكمة ما تسبب في إتلاف حياة ابنه". إن والدك أو والدتك لا يعطيانك كل ما تطلبه منهما، ولو فعلا لأساءا إليك. والله يتعامل معنا بنفس الكيفية، فلو أعطانا كل ما نطلبه منه لسبب ذلك أذيتنا وليس فائدتنا.

مرات نسأله أن يفعل لنا شيئاً من الواجب علينا أن نفعله لأنفسنا. عندما كنت تلميذاً في المدرسة كانت تصادفنا

مسائل صعبة، فكنا نسرع بها إلى المدرس ونطلب منه أن يعرفنا. لكن المدرس كان يقول: "كلا يا أولادي، فلن تستفيدوا شيئاً إن كنت أنا أحل لكم المسائل الصعبة. حاولوا أن تحلوها بأنفسكم". إن التلميذ يذهب للمدرسة لكي يتدرب على حل المسائل الصعبة والأمور المعقدة فتنمو قدرته الذهنية وتتقوى طاقته العقلية. ولذلك فإن المدرس عندما لا يجيبه إلى طلبه فهو في الواقع يوجهه لكي يفعل لنفسه ما يجب عليه أن يفعله، وما يقدر على فعله دون مساعدة المدرس. إن صليت إلى الله وقدمت طلبة لم يستجبها الرب، فاسأل نفسك، فربما تكون قد طلبت من الرب أن يفعل لك ما يجب عليك أن تفعله أنت لأجل نفسك.

مرات يصلي الأولاد والبنات طالبين من الرب جواً صحواً لأنهم ينوون أن يقوموا برحلة في اليوم التالي، وهم يخشون أن يفسد المطر رحلتهم، ولذلك فهم يطلبون من الله أن يهبهم جواً جافاً مشمساً. وفي صباح اليوم التالي يكون أول ما يسمعونه حالما يستيقظون من نومهم هو صوت قطرات المطر المتساقط على سطح البيت، فيصابون بخية أمل شديدة، ويظنون أن الله لم يستمع لصلواتهم. لكن الله لديه أسرة كبيرة جداً، وعليه أن يعتني بكل أفرادها، ويحقق الصالح للجميع. وهناك في الحقول يوجد آلاف الفلاحين الذين قد زرعوا حقولهم وهم يصلون لأجل المطر لكي ينمي زراعاتهم. فإن استجاب الله طلبة أولئك الأولاد والبنات وأعطاهم جواً جافاً يمكنهم من أن يستمتعوا برحلتهم، فماذا سوف يكون حال أولئك الفلاحين من أولاد الله؟ ولو وجد يومياً ولد أو بنت يصلي إلى الله طالباً

جواً صحواً مشمساً، واستجاب الله هذه الطلبات، فإن الفلاحين لن يجنوا أية محصولات من حبوب أو فواكه، وعندئذ لن نجد ما نأكله. إن الله يفكر في كل أولاده، ولذلك فعندما يرسل لك مطراً بدلاً من الجو الجاف الذي طلبته منه، عليك بدلاً من أن تتذمر أو أن تظن أن الله لم يستجب صلاتك، أن تفكر في كل الخيرات التي يجملها لنا المطر معه، من حبوب وفواكه وأزهار.

قرأت قصة خيالية عن جنية طلب منها الناس أن تصلي إلى الله لأجل المطر. وقبل أن تصلي أرادت أن تعرف ما هو اليوم الأكثر مناسبة للمطر. فبعض السيدات لا يردن المطر يوم الاثنين لأنه يوم الغسيل، وأخريات لا يردن المطر يوم الثلاثاء لأنه يوم السوق. والفلاحون اعترضوا على يوم الأربعاء لأنهم كانوا يعتزمون جمع الحشائش في ذلك اليوم، ويوم الخميس أيضاً كان عليهم أن يضموا الحشائش التي جمعوها إلى المخازن.. وهكذا بالنسبة ليومي الجمعة والسبت. وبالطبع لا يريد الوعاظ أي مطر يوم الأحد. فلم يوجد يوم واحد من كل أيام الأسبوع يناسب الجميع ليكون يوم المطر. وهكذا ذهبت الجنية وصلت إلى الرب طالبة منه أن يرسل المطر في الوقت الذي يستحسنه هو. مرات نكون في غاية الأنانية في صلواتنا. مرة كان طفل في شديد الحاجة إلى قرش ليشتري شيئاً يحتاجه، فصلى إلى الله أن يجعله يعثر على القرش في الطريق. وهذه الصلاة قد تبدو صلاة بسيطة ولاتضر أحداً، لكن لو فكرنا قليلاً لعرفنا أن هذا الطفل لو عثر على القرش الذي يحتاجه فإن معنى ذلك أن شخصاً آخر قد سبق وفقد منه هذا القرش أولاً. لقد كان في الواقع يطلب من الله أن يأخذ القرش من جيب

شخص آخر ويضعه في جيبه هو بغير استحقاق. يجب أن نتأكد من أن صلواتنا، إذا استجيبت فلن يؤدي ذلك إلى ضرر شخص آخر. وإلا فإن الله لن يستجيب لنا. أننا نصلي مرات كثيرة والرب لا يستجيب، والسبب في ذلك ليس أن الله لم يسمع صلواتنا من أول مرة، ولكن السبب هو أننا نطلب ما ليس من حقنا، أو ما هو ليس الأفيد لنا.

(٥)
المحبة
"نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً" (١يو ٤: ١٩)

إذا سألت أحدكم عن سبب حبه لأبيه أو أمه، فربما لا يستطيع أن يجيب على الفور. فتوجد أسباب كثيرة جداً لمحبتهما تجعل الحديث عنها صعباً بعض الشيء. ولعل أعظم سبب لمحبتهما هو أنهما أحباك أولاً. عندما كنت صغيراً جداً ولا تستطيع العناية بنفسك، أحباك، وبذلا كل ما في وسعهما لأجلك. لقد سهرا عليك بالليل والنهار، وأعطياك ما ينفعلك، وعلماك ما يؤول لخيرك. ولذلك فأنت تحبهما لأنهما أحباك أولاً. وهذا هو نفسه سبب محبتنا للرب يسوع المسيح. لقد أحبنا أولاً. أنه لم يعطنا فقط كل الأشياء النافعة التي لدينا، بل لقد بذل نفسه لأجلنا. لقد أعطانا ذاته.

في مدينة ما يوجد بيت للأيتام، كان به منذ عدة سنوات ولد أود أن أخبركم بأمره. فهذا الولد كانت له ساق واحدة، ومع ذلك فقد كان من أروع الأبطال الذين عرفتهم. منذ عدة سنوات شب حريق في الملجأ واحترقت كل مبانيه. وهذا الولد ذو الساق الواحدة كان في ذلك الوقت يبلغ الرابعة عشرة من عمره.

وعندما بدأ الحريق كانت بعض البنات الصغيرات في الطابق الثاني من أحد المباني. وأثناء محاولة إنقاذ بقية الأطفال نسى الجميع البنات الصغيرات. وفي غضون دقائق قليلة كانت النيران قد انتشرت في كل المبنى، وعندئذ تذكرهن الولد الأعرج، فقرر في نفسه أن يبذل كل ما في استطاعته لأنقاذهن، إن استطاع. فأحضر سلماً قديماً وبعد مجهود كبير أسنده على المبنى، وبدأ بصعوبة بالغة يتسلقه ليصل إلى الشرفة. ثم كسر احدى النوافذ وقفز إلى داخل المبنى، وبدأ يحمل البنات الصغيرات إلى خارج المبنى واحدة بعد الأخرى. وكن خمس بنات. أخذهن إلى السـطح، وطلب منهن أن يقفن هنـاك حتى يستطيع أن ينزل السلم. لكن واحـدة منهن رجعت مرة ثـانية إلى داخل المبنى، ولم يرها أحـد بعد ذلك.

نزل الولد على السلم ووقف أسفله على كومة من الصخور، وطلب من البنات أن يقفزن واحدة بعد الأخرى وهو يمسكهن. ولعلك تدرك صعوبة ذلك بالنسبة لولد ذي ساق واحدة. لكنه صمم أن يفعل كل ما في إستطاعته، وفي كل مرة كانت إحدى البنات تلقي بنفسها إلى أسفل كان يتلقاها بين يديه ويسقط على الأرض وهو ممسك بها بكل حرص. كان يسقط بشدة على كومة الصخور، حتى عندما قفزت البنت الأخيرة ونجت من المبنى المحترق كانت رأس الولد قد جرحت في عدة مواضع والدماء تنزف منها بغزارة. وعندما وجدوه بعد ذلك كان قد فقد الوعي، لكنه كان قد أنقذ البنات الصغيرات. ألا تعتقد أنه عندما تكبر أولئك البنات فإنهن لابد سوف يحببن ذكرى ذلك الولد؟ أنهن لابد سوف يحببنه، لأنه هو أحبهن أولاً،

وكان على إستعداد أن يضحي ويخاطر بحياته لأجلهن. هذا ما فعله يسوع، لقد أحبنا وبذل نفسه لأجلنا. لقد أراد الشيطان أن يهلكنا، كما يهلك الذئب الخراف. ويسوع هو الراعي الصالح الذي حارب الشيطان وخلصنا منه. لكنه لكي يتمم هذا الهدف ضحى بحياته، ولهذا فنحن نحبه، لأنه هو أحبنا وبذل نفسه عنا.

(٦)
الرمال
" وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ" (تك ٢٢: ١٧)

يحدثنا "السائح المسيحي" عن "جبل الصعوبات". أنه جبل عال صعب، وعلى كل إنسان أن يتسلقه. بالطبع يوجد البعض الذين لا يبالون بموقفهم في الحياة، هؤلاء يكتفون بالبقاء أسفل الجبل كل حياتهم. أما أولئك الذين يبغون الأمور الفضلى في الحياة، فإن الحياة بالنسبة لهم كتسلق مثل هذا الجبل القاسي الشديد الانحدار. ولكي نصل إلى قمة الجبل فنحن نحتاج إلى شيئين: الأول هو الرمال. فإحدى القوى العظمى في الطبيعة هي قوة الأمواج في إندفاعها إلى شواطئ البحار، فلا يوجد ما يستطيع أن يقاوم قوة الأمواج المندفعة. وكل ما يبنونه على الشواطئ من حواجز صخرية أو موانع خرسانية يبقى لسنوات قليلة، ثم تجرفه الأمواج وتسقطه. ولم يستطع الإنسان حتى الآن أن يجد ما يواجه به هذه الأمواج العاتية. لكن الله خلق حاجزاً لا تستطيع الأمواج أن تجتازه. أنه الرمل الذي على شاطئ البحر. وهو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يوقف تقدم الأمواج وطغيانها على الشواطئ. والرمال في

الولد أو البنت هي الشجاعة والقوة على الوقوف في وجه كل المواقف الصعبة. أنها القدرة على أن تقول "لا" عندما تواجهك التجارب والإغراءات. أنها القوة للمثابرة على العمل الشاق إلى أن ينتهي ويتحقق الهدف منه.

بعض الأولاد لا يستطيعون لعب كرة القدم. إن لهم الأجسام القوية، والأرجل السريعة، لكنهم لا يملكون الرمال. بعض الناس لا يستطيعون أن يحققوا أي إنجاز في حياتهم. لديهم الفرصة الكافية، والقدر الكافي من الذكاء، لكنهم يحتاجون إلى الرمل. والآن كلكم عليكم أن تتسلقوا جبل الحياة الذي أمامكم، فلا تنسوا أبداً أن تتسلحوا بالرمال، أي الشجاعة. أما الشيء الثاني الذي نحتاجه فهو المعونة والمساعدة، فما أكثر المرات التي فيها لا نستطيع أن نتمم ما علينا من أعمال بمفردنا! مرة كان طفل صغير يحاول أن يرفع حجراً ثقيلاً بمفرده، لكنه لم يستطع حتى أن يحركه من مكانه. وفي أثناء ذلك مر به أبوه ووقف يراقب محاولاته الفاشلة. وعندئذ سأله: "هل أنت تستعمل كل قوتك؟" فأجابه الولد: "نعم". لكن الأب أخبره أنه لا يستعمل كل قوته. عاد الولد يكرر محاولاته ثانية، وفي هذه المرة بذل جهداً أكثر من كل الماضي، فاستطاع أن يحرك الحجر من مكانه قليلاً لكنه لم يستطع أبداً أن يرفعه. فقال له أبوه مرة ثانية: "أنت لا تستعمل كل قوتك"، فأجاب الولد: "أنني أستعمل كل قوتي يا أبي"، فرد عليه أبوه قائلاً: "كلا يا ولدي، فأنت لم تسألني بعد أن أساعدك". لقد نسى الولد أن قوة أبيه هي قوته هو أيضاً، وأنه يستطيع أن يطلبها ويستعملها

متى احتاج إليها. وبنفس الكيفية ليتنا نتذكر أن قوة الله هي قوتنا، وأننا نستطيع أن نستعين بها كلما احتجنا إليها.

(٧)

الاعتراف بالخطأ

"اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ" (يع ٥: ١٦)

تعتبر قصة الابن الضال من أجمل الأمثال القصصية. فهنا شاب ترك البيت ومضى بعيداً وارتكب خطايا كثيرة. وبعد فترة تأسف على ما وصل إليه من حال ورجع وقال لأبيه: "أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا" (لو ١٥: ٢١). ويعتبر النطق بهذه الكلمات القليلة أصعب موقف واجهه الابن الضال طوال حياته، فلا يوجد من يقبل بسهولة أن يعترف بخطئه عندما يخطئ. مرة طلب بروفسور بلاكي (من أدنبرة) من أحد الشبان في السنة الأولى من دراسته الجامعية، أن يقف في الفصل ويقرأ. فوقف الشاب وأمسك بالكتاب في يده اليسرى، فطلب منه الأستاذ أن يحمل الكتاب في يده اليمنى، لكن الشاب استمر يمسك الكتاب بيسراه، فغضب الأستاذ وكرر قوله للشاب بحدة وقسوة، وعندئذ فقط استدار فرأى الأستاذ أنه في مكان ذراعه اليمنى يوجد كم فارغ. وإذا بالبروفسور ينزل من مكانه، ويذهب إلى حيث يقف الشاب، ويضع ذراعه حوله، ويقول: "أنني آسف جداً يا ابني، فلم أكن أعرف". ثم عاد الأستاذ إلى مكانه، واعتذر للفصل كله عما بدر من خطأ. وهذا الموقف من هذا الرجل العظيم جعل الجميع يحبونه، فقد كان دائماً على استعداد أن يعترف بخطئه، وأن يعتذر عنه، إن صدر منه أي خطأ.

وتحدثنا آية موضوعنا أن نعترف بعضنا لبعض بالزلات. لذلك فإن أخطأت في حق أي إنسان، والدك، والدتك، أخيك، أختك، أو صديق من أصدقائك، فلتكن لديك الشجاعة الأدبية الكافية لكي تذهب إليه وتعتذر له. وهذا هو أفضل وأسرع تصرف لمعالجة الخطأ. أعرف ولداً فقد أمه، وكان حزيناً جداً بعد وفاتها، وكان يقول: "لقد عملت الكثير الذي ما كان يجب أن أعمله، وفي كل مرة كنت أقول لنفسي أنني يوماً ما سوف أعتذر لوالدتي عما بدر مني في حقها. والآن لقد ذهبت، وأصبح من المستحيل أن أعتذر لها!". مرة أتهم أحدهم جاره بأنه أخذ شيئاً يخصه، فنشأت بينهما عداوة مريرة، واتخذ كل منهما الإجراءات القضائية ضد الآخر. وفي يوم ما بينما كان هذا الشخص يفتش في مكتبه عن بعض الأوراق عثر مصادفة على الشيء الذي اتهم جاره بسرقته. وعندما اكتشف خطأه في حق جاره كان من الواجب عليه أن يذهب إليه وأن يعتذر له عن اتهامه باطلاً. لكنه كان متكبراً، فلم يعتذر، واستمرت العداوة بينهما لسنوات عديدة تالية. إن أكثر الأولاد والبنات شجاعة هم أولئك الذين يعتذرون عن أخطائهم في حق الآخرين. أخبرني أحدهم عن ولد غش في الامتحان، فكانت ورقة إجابته كلها صحيحة تقريباً. وعند إعلان النتيجة نودي عليه لكي يستلم الجائزة، فوقف في مكانه وقال: "أنا لا استحقها، فقد غششت الإجابة في الامتحان، أنها من حق شخص آخر غيري". هذا الولد أخطأ بأن ارتكب غشاً، لكنه كان ولداً شجاعاً فوقف، واعترف بخطئه، ونال القصاص الذي يستحقه. واعترافه كان عنده أثمن بكثير من جائزة لا يستحقها. أيها الأولاد والبنات: لا

تخافوا أو تخجلوا من أن تعترفوا بأخطائكم، فهذه هي الخطوة الأولى في طريق الصلاح والحق. "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات".

(٨)
لماذا لا يهلك الله الشيطان؟
" ثمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ" (أي ١: ١٢)

بينما كان بنو إسرائيل في طريقهم من مصر إلى أرض كنعان، أتوا إلى واد ملئ بالحيات السامة. وكثيرون منهم لدغوا وماتوا. تصادف أن أحد الأولاد، بينما هو يلعب، أحس فجأة بلسعة حادة في رجله، وبعد قليل بدأت تتورم، وبعد مدة وجيزة مات. كما أن فتاة خرجت إلى النبع لتستقي ماء، وبينما هي تملأ الإناء ماء أحست بلسعة في يدها، ورأت حية تسرع مبتعدة عنها لتختبئ في الحشائش المحيطة بالنبع، وعلمت حينئذ أنه لم يبق أمامها إلا فترة وجيزة في الحياة. ولو أن رجلاً خرج ليحضر بعض الخشب لإشعال النار للتدفئة، فربما يكون أول ما سوف يحدث له هو أن تلدغه حية. هذه الأمور كانت تحدث كل الوقت، ولم يكن لها من علاج أو شفاء، فذهب الشعب إلى موسى وطلبوا منه أن يعمل شيئاً، فصلى موسى إلى الله.

فقال الرب لموسى أن يصنع حية من نحاس، وأن يرفعها فوق عامود عال في وسط المخيم، حيث يستطيع كل إنسان أن يراها. فكل من لدغته حية عليه أن ينظر إلى حية النحاس فيشفى ولا يموت. ألا يبدو هذا الأمر الذي أصدره الله لموسى غريباً بعض الشيء؟ لماذا لم يهلك الله الحيات مرة واحدة

وينتهي منها نهائياً؟! أنه يبدو إن إهلاك الحيات كان أفضل وأضمن بكثير لخلاص الشعب وإنقاذه! لكن كلا!، فقد أبقى الله على الحيات ليعلم الشعب دروساً عديدة. فأول كل شيء أراهم الله أن يكونوا حذرين. إن كنت لم تذهب أبداً إلى الغابات حيث توجد الحيات، فلابد أنك تعرف كيف يجب أن تسير بكل حذر، فأنت لا تضع قدمك إلا حيث تعرف أين تضعها. فهذه الحيات تجعلك حذراً للغاية. لكنك قد تقول لي: "ما دخل كل هذا بالشيطان؟". إن الشيطان يسمى بالحية، وعندما نفكر في الحية فإننا تلقائياً نفكر فيه، ومرات نسأل نفس هذا السؤال عن الشيطان: "لماذا يترك الله الشيطان ليعيش؟".مرة سألني أحد الأولاد قائلاً: لماذا لا يهلك الله ذلك الشيطان العجوز وينتهي منه مرة واحدة؟ ما هو نفع وجوده على أية حال؟".

حسناً، إن الله يترك الشيطان ليعيش لنفس السبب الذي لأجله ترك تلك الحيات تعيش. أنه يريد أن يعلمنا أن نكون حذرين في كل خطوة نخطوها، وفي كل كلمة نقولها، وفي كل فكر يجول بخواطرنا. إن الله يدعه يعيش لأنه يريدنا أن نكون أفضل وأقوى. والله يدعه يعيش لأنه – أيضاً – يريدنا أن نلجأ إليه عندما نكون في تجربة. أغلب الظن أن أولئك الذين لا يواجهوا أية تجارب سرعان ما ينسون الله، لكن حالما يواجهون تجربة نجدهم يفكرون في الله ويصلون إليه. والله يريدنا أن نلجأ إليه على الدوام. من المحتم أن الله سوف يدين الشيطان يوماً ما، فهو يسبب لنا الكثير من المتاعب والضيقات. لكن إن كنا نقاومه فإننا نصبح مسيحيين أفضل وأقوى. هناك قصة عن رجل

فرنسي وضع في سجن الباستيل منذ سنين كثيرة مضت. وضعوه منفرداً في زنزانة ضيقة لا ترى نور الشمس إلا لفترة وجيزة جداً كل يوم من خلال كوة متناهية الصغر. لم ير أحداً أبداً، ولم يسمع أي صوت، فأصبح حزيناً وكئيباً جداً بلا شيء يفعله أو يفكر فيه. وذات يوم رأى نباتاً صغيراً أخضر ينبت بين حجارة الزنزانة، فابتدأ يراقب هذا النبات، فلم يكن له شيء آخر يفكر فيه. وبينما النبات ينمو يوماً بعد يوم ابتدأ يحبه جداً. لم يكن يعرف أي نوع من النبات هو، فقال في نفسه: "سوف أستمر ألاحظ هذا النبات، فإن كبر ليكون حشيشاً عديم القيمة أعرف أنني لن أخرج من هذا السجن حياً، لكن إن أصبح زهرة جميلة يانعة أعرف أنه سوف يفرج عني يوماً ما". وذات مساء رقد لينام، وفي الصباح عندما استيقظ استقبلته رائحة جميلة تملأ جو الزنزانة. فقفز من مرقده المصنوع من القش ونظر إلى النبات، فرأى زهرة جميلة قد بدأت تتفتح على فرعه. وعندما رآها سماها "ميجنونيت" أي عزيزتي الصغيرة".وبعد فترة وجيزة أطلقوا سراحه فعلاً وعاد إلى بيته. وفيما بعد كان الناس يتعجبون منه لماذا كان يحتفظ بهذه الزهرة بصفة دائمة في بيته. والآن، فإن الله يلاحظنا ليرى ماذا عسانا نفعل إزاء تجارب الشيطان وإغراءاته، وما إذا كنا سوف نخرج حشائش خشنة لا قيمة لها، أو أزهاراً جميلة تسعد العالم وتباركه.

(٩)

الشفقة بالحيوانات

"وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا" (تك ١: ٣١)

منذ حوالي مائة سنة كتب أحد الشعراء الإنجليز قصيدة صغيرة تقول:

يصلي حسناً، من يحب حسناً: الإنسان، والطير، والحيوان.

ويصل أحسن، من يحب أحسن: كل الأشياء، كبيرة أو صغيرة.

لأن الله العزيز، الذي يحبنا كلنا، هو الذي صنع وأحب الكل.

لقد خلق الله الحيوانات والطيور، وهو يحبها لأنه هو الذي صنعها. وهو يريدنا نحن أيضاً أن نحبها. بل يجب علينا أن نحبها لأجل كل ما تفعله لأجلنا، فما تخدمنا به يفوق ما نستطيع أن نسرده في هذا المجال. فكر في البقرة التي تعطينا اللبن والزبد والجبن واللحم، حتى جلدها نصنع منه أحذيتنا، وأشياء أخرى كثيرة نافعة ومفيدة. أو فكر في الحصان الذي يقوم بأشق الأعمال لأجلنا. إننا لا نستطيع أن ندفع لأي منهما مالاً لقاء ما يقدمه لنا، لكننا نستطيع أن ندفع لهما شفقة وحباً. إن رأيت إنساناً غير شفوق بحصانه فاعلم أنك أمام إنسان لا تستطيع أن تثق به. في الهند تقوم الأفيال بغالبية الأعمال التي تؤديها لنا الخيل، وأيضاً بغيرها مما لا تستطيع الخيل أن تقوم به. ففي بعض الأحيان تترك الأم الهندية أطفالها في رعاية الفيل، فيعتني بها هذا الحيوان الضخم ربما أفضل مما يعتني بصغاره. قص علينا أحد المرسلين في الهند أنه رأى مرة فيلاً ضخماً يطرد الذباب عن طفل صغير نائم مستخدماً في ذلك فرع شجرة أمسكها بخرطومه، وطوال الوقت كانت الحشرات تحوم حول الفيل تضايقه، لكنه لم يهتم بأن يبعدها عن نفسه بل استمر في عنايته بالطفل الصغير النائم.

من الواجب علينا أن نحب الحيوانات، فهي تحبنا. عندما كنت في هولندا زرت مقبرة "وليام الصامت" الذي يسمونه "أمير البرتقال". وهناك يوجد تمثال كلب رخامي صغير جميل يضع رأسه بين رجليه الأماميتين. ويوجد تمثال آخر للأمير، ومعه الكلب أيضاً. فسألت أحدهم عن الكلب، فأخبرني أنه منذ مئات السنين كان الأمير يعيش هناك مع كلب صغير أحبه كثيراً، وعندما قتل الأمير رفض الكلب أن يأكل، إلى أن مات حزناً على الأمير، ولذلك فأينما يتذكر الهولنديون بطلهم الشهير يتذكرون كلبه أيضاً. إن كانت الحيوانات لا تحبنا فالسبب في ذلك هو أننا لا نعطف عليها. إنها تحبنا دائماً، إن كنا نحن نحبها. والطيور أيضاً. مرة قال يسوع إن عصفوراً واحداً لا يسقط إلى الأرض إلا بأمر الرب. ومعنى هذا أن الله يعرف طيوره واحداً واحداً، ويعتني بها جميعاً. عندما نرى بعض الأولاد يقتلون العصافير لمجرد التمتع برؤيتها تسقط إلى الأرض، فيجدر بنا أن نتذكر أن الله يرى كلا منها وهو يسقط، ويعرف من الذي قتله. هناك أسطورة جميلة يتناقلها اليهود. يقولون أنه عندما كان موسى يرعى غنم حميه ضل خروف وفقد. فجرى موسى خلفه، إلى أن أدركه متعباً منهكاً دامي القدمين ولا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام خطوة واحدة أخرى. فقال موسى للخروف: "هل ظننت أنني أنوي أذيتك ولذلك هربت أمامي كل هذه المسافة؟ كلا، إن حبي لك هو الذي دفعني أن أجري خلفك. وبسبب حبي لك سوف أحملك على كتفي وأرجع بك إلى البيت". وعندما رأى الله شفقة موسى على الحيوان الوديع المسكين قال في نفسه: "هذا هو الرجل الذي أحتاجه ليقود شعبي". وهكذا

اختار الله موسى ليكون قائداً لشعب بني إسرائيل. إن كنت تريد أن ترضي الله، وأن تكون لك شخصية رقيقة طيبة، فكن شفوقاً بالطيور والحيوانات.

(١٠)
فلننس أنفسنا
"لأَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا لَمْ يُرْضِ نَفْسَهُ" (رو ١٥: ٣)

من أهم الأمور التي نتعلمها في بداية حياتنا هو كيف نتذكر. فيجب أن نحاول بكل قوتنا ألا ننسى إرشادات والدينا، وتعاليم الكتاب المقدس، والدروس التي نتعلمها في المدرسة. كل هذه يجب أن نتذكرها، إن كنا نريد أن يكون لنا نصيب من الحكمة والتعقل. لكن هناك أموراً أخرى كثيرة يجب علينا أن ننساها. يجب أن ننسى القصص الشريرة التي نسمعها، والصور الشريرة التي نراها، وكل الأمور غير الطيبة والشريرة التي نكتشفها عن الآخرين. وهناك شيء آخر يجب أن ننساه – ذلك هو أنفسنا. عندما سمر المسيح على الصليب مقاسياً تلك الآلام الرهيبة، لم يفكر في نفسه قط، لكنه كان يفكر في أولئك البشر المساكين الذين سمروه على الصليب ولذلك صلى قائلاً: " يَاأَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو ٢٣: ٣٤).

مرة سمعت شخصاً يتحدث عن سيدة طيبة تعيش بالقرب منا، فقال: "إنها أفضل سيدة على الأرض"، ثم استطرد يبين سبب اعتقاده هذا فقال: "إنها لا تفكر في نفسها مطلقاً. إنها دائماً تفكر في الآخرين". يا له من وصف جميل! إن أردت أن تكون سعيداً، إن أردت أن يحبك الآخرون، فلتنس نفسك. قرأت

عن رجل ياباني عجوز كان يعيش، مع حفيده الذي يبلغ من العمر عشر سنوات، فوق أحد الجبال العالية بالقرب من شاطئ البحر. كان قد اشتغل باجتهاد كل أيام حياته، حتى استطاع أن يمتلك البيت الذي كان يعيش فيه. وفي مساء أحد أيام يونيو من عام ١٨٩٦، كان يقف أمام باب بيته، وحفيده بجانبه. كانا قد انتهيا من عمل اليوم، ووقفا يتطلعان إلى البحر. وفجأة إذا بهزة أرضية تحدث، من تلك الزلازل المعتاد حدوثها في اليابان. فاهتز البيت وتأرجح، لكنه لم يسقط، لأنهم في اليابان يبنون منازلهم بكيفية تجعلها لا تتأثر بالزلازل. لكن الرجل العجوز رأى مياه البحر تنحسر مبتعدة عن الشاطئ، وتذكر أنه رأى نفس المنظر منذ سنين طويلة عندما كان شاباً صغيراً، على أثر هزة أرضية مماثلة. فالناس في القرية، عندما رأوا هذا المنظر الغريب، اندفعوا نحو شاطئ البحر ليروه عن قرب. وكان الرجل العجوز يعرف ما لا يعرفونه هم، أنه بعد فترة وجيزة سوف تعود أمواج البحر في حالة مد عارمة تدمر القرية بأكملها. فطلب العجوز من حفيده أن يحضر له مصباحاً مشتعلاً، ولما أحضره أشعل العجوز النار في سقف بيته! بدأ الطفل الصغير يبكي، وظن أن الزلزال تسبب في أن يفقد جده قواه العقلية.

وهناك في أسفل الجبل، رأى أهل القرية البيت يشتعل بالنار، فأخذوا يجرون إلى أعلى الجبل. وبدأ جرس الإنذار بالحريق يدق، فسمعه أولئك الذين كانوا على شاطئ البحر وأسرعوا هم أيضاً إلى أعلى الجبل. وبعض الشبان كانوا أول من وصل إلى البيت المشتعل بالنار، ولما حاولوا أن يطفئوا النار لم يدعهم العجوز، بل قال لهم: "دعوه يحترق، فإني أريد أن

يأتي كل أهل القرية إلى هنا". اندهش الشباب لهذا القول، وسألوا الحفيد عن جلية الأمر: فقال بأسف: "لقد فقد جدي عقله، فقد رأيته بنفسي وهو يشعل النار في المنزل متعمداً". فقال الرجل العجوز: "نعم، أنا الذي اشعلت النار في البيت. فهل أتى إلى هنا كل أهل القرية؟". فتلفت الناس حولهم وأجابوه: "نعم، أنهم جميعاً هنا الآن". فقال الجد: الآن انظروا إلى البحر". فنظروا، ورأوا المياه تتدافع إلى القرية كصخرة عظيمة تتدحرج على الأرض. واستمرت المياه في اندفاعها إلى أن أغرقت القرية بأكملها، حتى أنها كادت تصل إلى حيث كانوا يقفون أعلى الجبل. ولما انحسرت المياه وتراجعت إلى البحر لم تترك أي أثر للقرية التي كانت هناك منذ فترة وجيزة. لقد أزالتها تماماً. عندئذ عرفوا السبب الذي دفع الجد العجوز لأن يشعل النار في بيته الذي اقتناه بالتعب والكد طوال عمره. لقد كان يستهدف نجاتهم وخلاصهم. لم يفكر قط في نفسه وفي تعب السنين التي مضت إلى أن اشترى هذا البيت، لكنه كان يفكر فقط في إنقاذ مواطنيه. هذا هو عين ما يريدنا يسوع أن نفعله. أن ننسى أنفسنا، ونفكر في الآخرين.

(١١)

الصخور، والمياه الضحلة

"الأَشْرَارُ وَضَعُوا لِي فَخًّا، أَمَّا وَصَايَاكَ فَلَمْ أَضِلَّ عَنْهَا" (مز ١١٩: ١١٠)

في غرفة قبطان كل سفينة تمخر عباب البحر توجد خريطة. وكلكم رأيتم خرائط لبلادكم، وتستطيعون بالنظر إليها أن تعرفوا أين توجد كل مدينة ونهر وجبل. وخريطة القبطان هي خريطة

للمحيط، مبين عليها مواقع المخاطر التي تكمن في أعماق البحر تحت المياه الهادئة. ومهمة القبطان هي أن يبتعد بسفينته عن هذه المواقع حتى يضمن لها النجاة والأمان. مرات توجد صخور ضخمة حادة تحت سطح الماء بقليل. وإن أهمل القبطان في معرفة مواقعها على خريطته فربما تصطدم سفينته باحدى هذه الصخور فتغرق. أيضاً هناك مواقع ضحلة المياه، فإن دخلت سفينة إلى أحد هذه المواقع فإنها تنغرس في قاع البحر ويصبح من العسير جداً إخراجها من هناك، وغالباً ما تحطم الأمواج السفينة المنغرسة في مثل هذا الموقع الضحل قبلما يستطيع أحد انقاذها.

لذلك فإن خريطة القبطان تبين بكل دقة مواقع الصخور، والمياه الضحلة، والفنارات، والموانى.. حتى يستطيع أن يؤمن السفينة وركابها. وحياة الإنسان تشبه سفينة تشق مياه البحر. فنحن نحتاج إلى خريطة ترشدنا إلى أماكن الأمان، وتحذرنا من المواقع الخطرة والصعبة لتجنبها. ولقد أعطانا الله هذه الخريطة. إنها الكتاب المقدس. ودعوني أقول لكم أن بعض الناس الذين تعرفونهم قد اصطدموا بالصخور بسبب عدم دراستهم للخريطة الملاحية جيداً وبعناية كافية. أولهم في الكتاب المقدس هو قايين. وحياته كانت أول سفينة أبحرت في بحر هذا العالم، وللأسف فقد ترك سفينة حياته تصطدم بصخرة تدعى "الغضب"، وقبل أن يدري إذا به يقتل أخاه. وكم من السفن القوية تحطمت على نفس هذه الصخرة. ينبغي أن نتحذر منها بأن ندرس الكتاب المقدس جيداً.

وآخر هو أبشالوم. كان الابن المفضل للملك داود. والكتاب يقول: "[١٢]أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ" (خر ٢٠: ١٢). لكن أبشالوم كان أحد أولئك الذين يظنون أنهم يعرفون أكثر من غيرهم، فلم يهتم بالالتفات إلى ذلك الكتاب القديم – الكتاب المقدس. كان يعرف أين يهدف. ويوماً ما إذا به يسقط فجأة. لقد اصطدم بصخرة "العصيان" وكان من الممكن تفادي ذلك لو أنه اهتم بدراسة الخريطة العتيقة – كلمة الله. وفي العهد الجديد نجد حنانيا. كان رجل أعمال، وكان مشغولاً جداً كل الوقت لدرجة لم يجد معها فرصة لكي يراجع خريطته فيعرف إلى أين هو ذاهب، وإذا به يصطدم بصخرة اسمها "الكذب"، فهلك ولم يعد يرى بعد. لكن ليست كل الأخطار التي ينبغي أن نتحذر منها صخوراً، فبعضها مياه ضحلة. واحد من أسوأ هذه المواقع يدعى "الكسل". عرفت رجلاً كان ذا قدرة عظيمة ومعرفة علمية ممتازة، وكان من الممكن أن يصبح إنساناً عظيماً. بدأ حسناً، لكنه لم يستمر. ففي يوم من الأيام توقف عن العمل، وبقى كذلك بقية حياته. هل تعرفون ماذا كانت مشكلته؟ لقد انغرز في موقع "الكسل" وبقى هناك. ولو كان قد قرأ سفر الأمثال لتعلم من الحكمة ما يجعله يتحذر من الكسل بالقدر الكافي لنجاحه في الحياة.

وموقع آخر من تلك المواقع الخطرة الضحلة المياه، التي يجب أن أحدثكم عنها هو الأنانية. مرة وجد شخص اسمه ديماس، كان يظن أنه أمر عظيم أن يكون مرسلاً كبولس فيحب الناس ويخدمهم. وبدأ رسالته كسفينة ممتازة قادرة على إتمام رحلة طويلة سعيدة. ثم ابتدأ يفكر في النفقة والتضحية،وكل تلك

الأمور اللذيذة التي يجب عليه أن يحرم نفسه منها، والمسرات التي سوف يفقدها إن هو رافق بولس فتوقف ولم يذهب. وكانت النتيجة أن انغرزت حياته في مستنقع الأنانية. ويا له من مستنقع خطر! ينبغي أن نأخذ حذرنا منه. مرات تكون السفينة في خطر، فهناك ضباب يغطي المحيط، أو هي تبحر بالقرب من صخور أو مواقع ضحلة المياه، وفي مثل هذه الأوقات لا يترك القبطان غرفة القيادة ولو لثانية واحدة. فنجده يحدق بعينيه في الخريطة والبوصلة كل الوقت. ونحن، ما أكثر الصخور والمستنقعات التي يجب علينا أن نتجنبها، فإن كنا نبقى بالقرب من كتابنا المقدس كل الوقت، وإن كنا نتبع إرشاده لنا، فإننا لن نخاف مما يصادفنا في الحياة.

(١٢)
الفنـــار
" كَسَارِيَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَل، وَكَرَايَةٍ عَلَى أَكَمَةٍ" (إش ٣٠: ١٧)

يتحدث إشعياء هنا عن الفنار. فقد كانت عندهم فنارات، أو ما يشبهها كثيراً، في زمن النبي منذ حوالي ألفين وخمسمائة سنة. واحد من أشهر هذه الفنارات في التاريخ تم بناؤه قبل مجئ المسيح إلى الأرض بثلاثمائة سنة عند التقاء نهر النيل بالبحر الأبيض المتوسط. ويخبرنا المؤخون إن هذا الفنار كان أحد عجائب الدنيا السبع، وإن بناءه تكلف حوالي مليونين من الدولارات (في ذلك الوقت). في تلك الأيام كانت توجد فنارات كثيرة بطول شواطئ البحار، وكانت تبني هناك لترشد السفن

في الليل، ففي كل ليلة نجدها ترسل أنوارها القوية لتضئ أمواج المياه المترامية الأطراف. وهناك أمور كثيرة عن الفنارات تذكرنا بالأولاد والبنات.

فأولاً يجب أن تكون أساساتها متينة جداً. فمن غير الحكمة أن نبني فناراً على الرمال، وإلا فإن أول زوبعة تهب سوف تجرف الرمال من تحته فيسقط ويتلاشى من الوجود. فيجب إذاً أن يبنى على الصخور أو على أعمدة قوية ثابتة. ونحن ينبغي أن نبني شخصياتنا على الصخر. ينبغي أن نعتني بالأساس. يقول بولس: " لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (١كو ٣: ١١). أنه أفضل أساس لشخصية الشاب أو الشابة. إذا بنينا الحياة عليه، وثبتناها فيه، فإننا نتيقن من الثبات والنجاة عندما تأتي العواصف وتهب أعاصير التجارب. وثانياً ينبغي العناية باختيار المواد التي يبني منها الفنار، فبعضها يصنع من الصلب، وكل قطعة منه تثبت بعناية تامة في القطع الأخرى، والبناء بأكمله يجب أن يكون من أفضل المواد، فإن كانت قطعة واحدة من الصلب ليست بمستوى الجودة المطلوب فقد تتسبب في إنهيار البناء بأكمله عندما يتعرض لعاصفة ما.

ونحن ننشغل كل اليوم ببناء شخصياتنا، وفي بعض المرات قد نجرب بأن نستخدم في البناء بعض العادات الرديئة، أو الممارسات السهلة الكسولة. إن فعلنا ذلك، فإن الشخصيات التي نبنيها لن تصمد في مواجهة تجارب وامتحانات الحياة. لكن يوجد أمر ثالث ربما يكون أكثر أهمية من سابقيه. فما هو الهدف من بناء الفنار؟ أنه هناك ليعطي نوراً. ففي كل ليلة

توجد سفن تشق أمواج البحار، وهي في خطر الاصطدام بالصخور أو الوقوع في المياه الضحلة، ولذلك فيلزمها نور الفنار لكي تتجنب هذه وتلك. وبنفس الكيفية فإن شخصياتنا تبنى، ليس لمجدنا أو سعادتنا، لكن لكي نضئ للآخرين من حولنا. فمثالنا يجب أن يقودهم ليصبحوا أفضل وأفضل. فإن كنا أنانيين، ولا ندع نور حياتنا يشع على الآخرين، فربما يضل أولئك أو يهلكون، تماماً كالسفن بالقرب من شاطئ ليس به فنار. مرة زار رجل فناراً، وبينما هو يتجول برفقة حافظ الفنار سأله: "ماذا يحدث لو أنك في ليلة نسيت أن تضئ الفنار؟"، فأجابه قائلاً: "إن هذا مستحيل يا سيدي، فلا يمكن أبداً أن أنسى. فإن لم يوجد نور الليلة فإني سوف أسمع من كل المناطق في الشمال والجنوب أن بعض السفن قد ضلت طريقها في هذه الليلة. أنني لا أجرؤ أن أنسى!". ونحن أيضاً، ينبغي ألا ننسى أنوارنا. قال يسوع: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٦).

(١٣)
أجنحة الشمس
" وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا" (ملا ٤: ٢)

هل سمعت أبداً عن أجنحة الشمس؟ أنك تعرف أجنحة الطير، وأجنحة المنزل، وأجنحة الجيش، لكن ربما لا تعلم شيئاً عن أجنحة الشمس. إن نظرت إلى أعلى فسوف ترى حزم الضوء الباهر ترسلها الشمس على جانبيها تماماً كأجنحة

المنزل التي تمتد على جانبيه. هذه هي أجنحة الشمس. ويقول النبي أن أجنحة الشمس تحمل شفاء، تماماً كالأدوية التي يصفها لنا الطبيب عندما نمرض. وقد بدأ الناس يدركون أن الشمس تهب شفاء بديعاً للمرضى.

إن وضعت نباتاً في قبو المنزل حيث لا يوجد ضوء، وتركته هناك عدة أيام فسوف يمرض النبات ويموت. فلكي يحيا النبات وينمو لابد له من أن يتمتع بضوء الشمس، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على البشر. وفي غالبية المستشفيات توجد غرف فسيحة تسطع فيها الشمس طوال النهار، وإلى هذه الغرف ينقل المرضى الذين يتماثلون للشفاء لكي تسطع أشعة الشمس عليهم فتساعدهم على الشفاء من أمراضهم بسرعة. منذ مدة ليست ببعيدة قال أحد الأطباء: "في بعض غرف المستشفى يخيل إلي أن المرضى يتعافون بسرعة، أكثر ممن يوجدون في بقية الغرف، وهذه الغرف هي غالباً تلك التي تتمتع بالشمس الساطعة لفترات أطول من غيرها". وهذا هو ما قصده النبي عندما أخبرنا أن الشمس تحمل الشفاء في أجنحتها.

لكنه في الواقع كان يحدثنا عن يسوع، فهو يدعوه "شمس البر"، ويخبرنا أنه يحمل الشفاء في أجنحته، تماماً كالشمس التي تشرق في علياء السماء. توجد بعض الأمراض لا يستطيع أن يشفيها إلا يسوع. فأنتم تعرفون أنه توجد أمراض تصيب الجسد، وأخرى تصيب العقل، ونوع ثالث يصيب الروح. فالخطية هي مرض الروح، وكلنا نشقى بسبب هذا المرض، ولا يوجد لهذا المرض من شفاء إلا في شخص يسوع، شمس البر.

لنفرض أن أحدكم كان مريضاً، وعندما ذهب إلى طبيبه قال له: "إن ما تحتاجه هو ضوء الشمس. عليك فقط أن تبقى في الهواء الطلق وأن تعرض جسمك لأشعة الشمس أطول فترة ممكنة، وسوف تشفى".

والله، طبيب الأرواح الأعظم، يقول لكل منا: "أن روحك مريضة، لقد أصابها مرض الخطية. وما تحتاج إليه هو نور وجه يسوع. فإن سرت في نوره فسوف تشفى". مرة كان هناك رجل اسمه بطرس. كان خشناً جافاً قاسياً شتاماً، وحياته لم تكن حياة طيبة على الاطلاق. ويخبرنا الأطباء أن الجراثيم تنمو بسرعة في الظلام، فإن أردت أن تقضي على الجراثيم فما عليك إلا أن تفتح النوافذ وتسمح لنور الشمس أن يغمر المكان. هذا الرجل بطرس كان يعيش في الظلام، فتكاثرت فيه جراثيم الخطية والشر وطغت على حياته حتى أصبح خاطئاً كبيراً. لكن يوماً ما مر يسوع بالقرب منه ودعاه أن يتبعه. ففعل، فأزال نور يسوع كل ما فيه من شر، وشفاه من مرض الخطية تماماً، فأصبح فيما بعد واحداً من أعظم القديسين في كل العصور.

وهناك رجل آخر اسمه شاول، صنع شروراً كثيرة في أماكن عديدة، إلى أن جاء يوم كان فيه ذاهباً إلى مدينة دمشق، فأشرق عليه نور من السماء، أشرق إشراقاً مباشراً داخل نفسه الشريرة، تماماً كما تنعكس أشعة الشمس على وجوه المرضى في المستشفيات. وكانت النتيجة أن شفي ذلك الرجل شفاء عجيباً، وتحول شاول إلى بولس الرسول العظيم. عندما كنت ولداً صغيراً كنت معتاداً أن أخرج إلى الخلاء خلال فصل الصيف والتقط ثمار التوت، وفي خلال فترة وجيزة كنت

أملأ إناء كبيراً من ثمار التوت. لكن عندما تذوقت أحداها وجدتها مرة ومالحة، وكان السبب في ذلك أنه في مكان وجود أشجار التوت كانت توجد مجموعة من الأشجار الضخمة تحجب أشعة الشمس عن أشجار التوت، ولذلك فإن ثمارها كانت دائماً مرة المذاق. وفي إحدى السنوات أتى بعض الرجال وقطعوا تلك الأشجار غير المفيدة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت ثمار التوت حلوة ناضجة. هذا هو السبب في أن بعض النفوس مرة وخاطئة، فهناك ما يعوق نور الشمس من أن تشرق عليهم، نور شمس البر!.

(١٤)
السنارة والطعم
"مَكَايِدِ إِبْلِيسَ" (أف ٦: ١١)

هل تعلمون ماذا كانت مهنة غالبية تلاميذ المسيح؟ لقد كانوا صيادي سمك. ومرات كان يسوع يصحبهم في سفن الصيد. في تلك الأيام، كما في أيامنا الحاضرة أيضاً، كانت هناك طريقتان للصيد. فمرات كانوا يستخدمون الشباك الكبيرة فتمسك عدداً كبيراً من السمك مرة واحدة. ومرة استمر التلاميذ يصطادون طوال الليل حتى طلوع النهار تقريباً لكنهم لم يمسكوا شيئاً. وكانوا يتهيأون للعودة إلى بيوتهم، ولم تكن معهم ولا سمكة واحدة يحملونها إلى السوق ليبعوها ويشتروا بثمنها طعاماً لعائلاتهم، عندئذ أتى يسوع ماشياً على الشاطئ، وأمرهم أن يلقوا الشباك على الجانب الآخر للسفينة، ففعلوا كما أمرهم، فأمسكوا سمكاً كثيراً جداً حتى لم يكن لهم مكان في السفينة بالإضافة إلى صيد السمك

الذي اصطادوه. وفي مرات كانوا يستخدمون السنارة للصيد. مرة احتاج يسوع وبطرس إلى مبلغ ضئيل من المال ليدفعا الجزية. كانا فقيرين جداً، وعندما أتاهما الجابي لم يكن معهما ما يكفي لدفع الجزية. فطلب يسوع من بطرس أن يأخذ سنارته ويذهب إلى البحيرة وأن ينظر في فم أول سمكة يمسكها. وما أن ألقى بطرس السنارة في الماء حتى أحس بقضمة للطعم، وإذا به يمسك بسمكة كبيرة. وبسرعة أخرج السمكة إلى الشاطئ، وعندما فتح فم السمكة ليخرج منه السنارة وجد فيه قطعة من النقود تكفي ليدفع الجزية عن يسوع وعنه. عندما دعا يسوع التلاميذ لكي يتبعوه، أخبرهم أنهم سوف يصبحون صيادي الناس. فبدلاً من أن يصطادوا سمكاً ويأخذوه إلى السوق كان عليهم أن يصطادوا الناس ويأخذوهم إلى يسوع. وهذا تماماً هو ما تفعله الكنيسة الآن، فنحن نحاول أن نصطاد الناس. مرات نصطاد عدداً كبيراً دفعة واحدة كما يفعل صياد السمك عندما يستخدم شبكته. لكن أغلب المرات نكون كمن يستخدم السنارة فنجتذب الناس واحداً واحداً.

ومن الأسباب الرئيسية للنجاح في صيد السمك أن نستخدم الطعم. والله قد أعطانا الطعم اللازم لكي نستخدمه في صيد النفوس: أعمال طيبة، وكلمات محبة، والكتاب المقدس، والصلاة، والكنيسة، ومدارس الأحد. هذه جميعها أنواع من الطعم نستخدمها لكي نأتي بالناس إلى يسوع. والشيطان هو صياد للناس أيضاً. مرة قال أحد الرجال العظماء أن الشيطان يحاول أن يقلد الله، لكن لقصد شرير في نفسه. فهو أيضاً

يستخدم أنواعاً مختلفة من الطعم يحاول بها أن يصطاد الأولاد والبنات. أحد أنواع الطعم التي يستخدمها الشيطان هو اللعب. فاللعب أمر حسن، والأولاد يحبون اللعب، لكن توجد بعض اللعبات والتسليات التي تعتبر من أنواع الطعم التي يستخدمها الشيطان بمكر لكي يوقع بهم بواسطتها. فيجب أن نتحذر في لعبنا وتسلياتنا حتى لا ننقاد إلى الشر.

وهناك أيضاً الكتب. فنحن في حياتنا لا نستطيع الاستغناء عن الكتب، فهي ضرورية جداً لتعليمنا وتثقيفنا كل يوم، ومنها نستفيد، وبها نتسلى. لكن توجد بعض كتب يستخدمها الشيطان كطعم لاصطياد الأولاد والبنات. فقبل أن نقرأ أي كتاب يجب أن نعرف اي نوع من الكتب هو، ويجب أن نتيقن أن سنارة الشيطان ليست مخبأة لنا في مكان ما من هذا الكتاب. وهناك أيضاً الأصدقاء. كل إنسان يجب أن يكون له أصدقاء ورفقاء طيبون. ولن نكون سعداء إن لم يكن لنا أصدقاء. والشيطان العجوز يعرف هذه الحقيقة، ولذلك فهو يحاول أن يمسك بنا ويوقعنا في الشر مستخدماً أصدقاءنا.

يحكي أن سمكة عجوزاً كانت حكيمة جداً، فقالت لسمكة شابة: "قبل أن تقضمي أي طعام دوري حوله وتأكدي أنه لا توجد سنارة مخبأة لك فيه". والمال هو أحد أنواع الطعم التي يستخدمها الشيطان. مرة اعترف أحد المجرمين الأشرار جداً أنه بدأ حياة الاجرام في سن مبكرة جداً، وكان ذلك بأنه رأى أحدهم قد نسى قرشاً على المنضدة وانصرف فأتى الشيطان واغراه أن يسرق القرش. وكانت هذه هي بداية حياة مليئة بالشرور. فلقد استخدم الشيطان المال كطعم اصطاد به هذا

الولد الصغير. عندما نستخدم السنارة في اصطياد سمكة فإنه يندر أن تستطيع الافلات منها. وإن استطاع الشيطان أن يصطاد أيا منا في سنارته فسوف تكون مهمتنا شاقة جداً إذ نحاول الخلاص منه. لذا ليتنا جميعاً نكون حذرين.

(١٥)

هل نقول "لا"؟

"لِتَكُنْ نَعَمْكُمْ نَعَمْ، وَلاَكُمْ لاَ، لِئَلاَّ تَقَعُوا تَحْتَ دَيْنُونَةٍ"

(يع ٥: ١٢)

في لغتنا توجد بعض كلمات صعبة يتعذر علينا أن ننطقها. وأحد أقصر هذه الكلمات وأصعبها كلمة "لا". أخبرني أحدهم عن شاب انحرف. لقد فعل والداه كل ما يستطيعان لأجله وأتاحا له كل فرصة ممكنة، لكن المشكلة الكبرى كانت أنهما لم يعلماه أن يقول "لا". فعندما كانت تأتيه الاغراءات لفعل الشر لم تكن تواتيه الشجاعة اللازمة ليقول "لا، لن أفعل". لقد تعلم أموراً كثيرة، لكنه لم يتعلم أن يقول "لا". كان ولد اسمه "ألبرت سميث" ، أمرته أمه بعد ظهر أحد أيام الصيف الصافية ألا يذهب للسباحة في ذلك اليوم، لكن بعد فترة وجيزة سمع الأولاد آتين نحوه وينادون عليه: "تعال، هيا بنا نذهب للسباحة، فإن الماء صاف جداً". لقد أمرته أمه ألا يذهب، وكان يجب عليه أن يجيبهم قائلاً "لا، لا أستطيع أن أذهب معكم اليوم". لكنه بدأ يفكر في المرح الذي سوف يمرحه مع الأولاد في الماء، ولذلك فعندما حاول أن يقول "لا" أحس وكأن الكلمة قد التصقت في مكان ما في سقف حلقه، فلم يستطع أن ينطق بها. وقبلما يعلم إذا به يذهب مع الأولاد ليفعل عين الشيء الذي

نهته أمه عن فعله. ومرات كثيرة نواجه نحن أيضاً مواقف مشابهة، ويكون من الصعب علينا جداً أن نقول هذه الكلمة السهلة جداً!.

في مخيمات الجنود يقف الحراس في مواقعهم حول المعسكر، ولا يسمح لأحد أن يجتاز أية نقطة من نقط الحراسة إلا بعد أن يذكر كلمة السر. وهل تعلم أن هناك كلمة سر في الحياة يجب علينا أن نتعلمها حتى نستطيع أن ندخل إلى الحياة الفضلى والعظمى؟ إنها كلمة "لا". توجد مواقف كثيرة في الحياة فيها تحتاج إلى هذه الكلمة أكثر من احتياجك إلى أي شيء آخر في العالم. عندما يأتيك أصدقاء السوء ويحاولون اقناعك بأن تفعل ما أنت تعلم أنه خطأ، فيجب أن تكون لديك الشجاعة الكافية لتقول "لا". البعض يقولون "لا" بنصف قلب، وقليل من الإلحاح أو التحريض سوف يجعلهم يستبدلونها بكلمة "نعم"، لكن أيتنا تخبرنا بما يجب علينا أن نفعله: لتكن... لاكم لا". إذاً لتقل "لا"، وتتمسك بما تقول. لنتعلم أن نقول "لا" عندما نجرب بأن ننسى ما تعلمناه في مدارس الأحد، أو في كنائسنا، أو في بيوتنا المسيحية. منذ مدة بعيدة كان هناك شاب يعمل لدى تاجر كبير مشهور. وفي أحد الأيام طلب منه صاحب العمل أن يؤدي عملاً ما في يوم الأحد، فأجابه الشاب: "لا، أنني مسيحي، ولقد وعدت أمي أنني لن أعمل في أيام الآحاد". فأخبره صاحب العمل أنه لا يستطيع أن يبقيه في عمله طالما أنه ليس على استعداد أن يطيع ما يأمره به، وهكذا طرده من العمل.

وبعد فترة وجيزة أتى أحدهم إلى صاحب العمل وقال له: "أنني في حاجة إلى شاب أمين ليشغل وظيفة هامة جداً لديّ. فهل تعرف أحداً ترشحه؟"، فأجابه ذلك: "نعم، أعرف شخصاً يناسبك جداً. لقد كان على أن أطرده لأنه رفض اطاعتي بأن يعمل في أيام الآحاد. لقد كان شجاعاً بالقدر الذي جعله يرفض اطاعة أمري ويتمسك بموقفه. وأعتقد أنك سوف تتخذ قراراً صائباً لو اخترته لهذه الوظيفة". وهكذا حصل هذا الشاب على وظيفة أفضل من تلك التي خسرها منذ أيام قليلة مضت. كل العالم يحترم من يستطيع، من الأولاد والبنات، أن يقول "لا" في موضعها الصحيح. إن أشجع الأولاد ليس هو ذاك الذي يستطيع أن يقاتل الباقين وينتصر عليهم، فهذه ليست هي الشجاعة الحقيقية. فإن الكلب أو الثعبان أو الدب سوف يحارب أفضل إن استثير. لكن أعظم وأفضل أنواع الشجاعة هي تلك التي للولد الذي يستطيع أن يقول "لا" عندما يجرب بأن يفعل ما هو خطأ. أنه ينتصر في معركة ضد الشيطان، وهذه هي أعظم نصرة نستطيع أن نحصل عليها.

(١٦)

الأسد والدب

"فَتَلَ عَبْدُكَ الأَسَدَ وَالدُّبَّ جَمِيعًا" (١صم ١٧: ٣٦)

يعتبر داود واحداً من أعظم العسكريين الذين عاشوا على هذه الأرض. كان قوياً جداً لدرجة أنه كان يستطيع أن يحني بذراعه قوساً من الصلب، وكان شجاعاً جداً لدرجة أنه لم يرهب أن يتقدم لمحاربة عملاق جبار وليس بيده سوى مقلاع وبعض الحصى. وقبل أن يصبح ملكاً كان غلاماً راعي غنم. وكان

عليه أن يقود القطيع كل صباح إلى سفح الجبل للرعي، ويبقى معها طوال اليوم حتى لا يصيبها أذى، ثم يعود بها في المساء سالمة إلى الحظيرة. وفي أحد الأيام هاجم أسد القطيع، فتصدى له داود وقتله. ومرة أخرى هاجم دب واحدة من الغنم، فأخذ داود عصاه وقتل بها الدب. وكانت هاتان الحادثتان أول معركتين حاربهما داود، ومنهما نرى كيف أنه كان ولداً شجاعاً، لأنه لا يستطيع أن يتصدى للأسد والدب إلا من كان ذا شجاعة فائقة. وبعد عدة سنوات نجده يحارب حروباً أخرى كثيرة: مع جليات، ومع الفلسطينيين، ومع السوريين، لكن من المؤكد أن أيا من هذه الحروب لم يكن في شدة الحربين مع الأسد والدب. فلو كان الأسد أو الدب قد هزمه ما كان قد عاش ليحارب جليات وما أصبح ملكاً عظيماً. وكل ولد أو بنت يشبه الملك داود في أمر ما، فأول حرب على كل منهما أن يحاربها هي تلك التي يحارب فيها الاسد والدب.

دعوني أحدثكم أولاً عن الأسد. أنه ليس أسداً في قفص مثل الذي تشاهدونه عندما يأتيكم السيرك ليقدم عروضه في مدينتكم. أنه أسد يسكن في داخل كل منا. أنه الطبع الغضوب. ففي كل منا يوجد طبع ردئ يسيطر علينا في وقت أو آخر. أنكم تعرفون كيف يهاجم الأسد الإنسان. أنه يتحين الفرصة، وعندما لا يكون المرء منتبهاً أو متحذراً، نجده يباغته ويهاجمه. وهذا ما يفعله الغضب معنا، أنه يهاجمنا بغتة ويملك قيادنا قبل أن ندري. إن ذهبت إلى حديقة الحيوان فسوف تشاهد أسداً قوياً ضخماً في قفص قوي. ولن تخاف منه لأنه خلف قضبان حديدية قوية. لكن إن ترك أحدهم باب القفص مفتوحاً، فإني لا

أستطيع أن أصف الرعب الذي يسببه الأسد لكل منا حينئذ. وهذا هو نفس ما يحدث مع أسد الغضب، فيجب أن نحبسه ونحرسه ليل نهار حتى لا يستطيع أن يؤذي أحداً. وإن سادت علينا طبيعة الغضب في أية مناسبة، فكما فعل داود بالأسد ينبغي علينا أن نحاربها ونتغلب عليها. يقول الكتاب أن: "مَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً" (أم ١٦: ٣٢).

ثم هناك الدب، فلا يجب أن ننساه، فداود قتل الدب أيضاً. إن أفضل صفات الطفل هي لطفه، لكن أطفال الدببة لا يمكن أن توصف بهذا الوصف، فهي شريرة شرسة، وقاسية، وتخلق المتاعب اينما توجد. إنها مثل الأولاد المشاكسين ذوي الأخلاق الخشنة. قال أحدهم أن بعض الأباء والأمهات يخرجون أولادهم إلى الحياة وهم مثل أولاد الدببة تماماً، يتصفون بالخشونة والقسوة، وعدم الرحمة. وحرب داود الثانية العظيمة كانت مع الدب. ومن أوائل الأمور التي يجب علينا أن نفعلها أن نحارب الدب الذي فينا وننتصر عليه.

ويوصينا الرسول بولس أن نكون شفوقين، والشفقة من أعظم الأسلحة التي بها ننتصر على الدب. بعض من أضخم وأقوى الرجال الذين وجدوا في هذا العالم كانوا في نفس الوقت أكثرهم لطفاً ورقة، لأنهم تعلموا كيف يكونون لطفاء شفوقين. مرة كان ابراهام لنكولن راكباً مع أحد أصدقائه عبر طريق في ولاية البناوس، وفجأة وقف ونزل عن حصانه وبدأ يتحسس في الأعشاب تحت شجيرة. فقال له صديقه: "هل وقع منك شيء يا مستر لنكولن؟"، فأجابه قائلاً: "كلا، لكن بينما نحن نمر من هنا رأيت عصفوراً يسقط من عشه في هذا

المكان، وأنا أبحث عنه لأعيده مرة أخرى إلى عشه". إن عملاً بسيطاً كهذا يبين كم كان هذا الرجل لطيفاً شفوقاً. أعتقد أن داود قتل الدب والأسد مستخدماً عصاه، ونحن نستطيع أن نقتل الأسد والدب اللذين فينا باستخدام اللطف والشفقة.

(١٧)
السلوك في الكنيسة
"لِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللهِ" (١تي ٣: ١٥)

منذ زمن بعيد كتب الرسول العظيم بولس رسالة إلى صديقه الشاب تيموثاوس، ذكر له فيها أمراً أود أن تذكروه جميعاً. قال له: " فَلِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللهِ" (١تي ٣: ١٥). إن على الأباء والأمهات في هذه الأيام أن يعلموا أولادهم كيف يحسنون التصرف عندما يذهبون للكنيسة. وأعتقد أن الأولاد في عصر الرسول بولس كانوا يشبهون الأولاد في هذه الأيام إلى حد كبير، لأننا نجد بولس هنا يوصي يتموثاوس أن يتعلم كيف يتصرف في كنيسة الله.

وهناك بعض أمور عن بيت الله يجب أن لا ننساها أبداً. فيقول الحكيم سليمان: " اِحْفَظْ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللهِ" (جا ٥: ١)، وهو يعني بذلك أن نمشي بهدوء ووقار. مرة رأيت بنتاً صغيرة تمشي على أطراف أصابعها مارة بأحد البيوت، وعندما وصلت إلى ذلك البيت رأيت صليباً على الباب. لقد فكرت أن الله لابد أن يكون هناك، لذلك فيجب عليها أن تمشي بمنتهى الهدوء، عندما ندخل الكنيسة علينا أن نمشي بكل وقار

وهدوء، فهي بيت الله. أيضاً عندما ندخل الكنيسة علينا أن نصلي صلاة صغيرة. عندما تذهب إلى بيت أحد الناس فبمجرد ما تلقاه عند باب البيت فإنك تتحدث إليه، أليس كذلك؟ وبنفس الكيفية فإنه لا يعتبر موافقاً للآداب أن تدخل بيت أحدهم دون أن تكلمه. لذلك فعندما ندخل بيت الله يجب أن نوجه الحديث إليه بالصلاة.

وطوال وجودنا في الكنيسة يجب علينا أن نفكر في الله وفيما نسمعه عنه. في بعض الأحيان بينما نحن نتحدث إلى شخص ما نلاحظ أنه يفكر في شيء آخر، وهذا سلوك ممقوت يجرح كرامتنا. لكن هذا هو عين ما يفعله البعض عندما يذهبون لبيت الله، حيث تقدم له العبادة. أنهم يقضون الوقت يفكرون في أمور أخرى كثيرة لا علاقة لها بما يسمعون. لذلك لا عجب إن كان الله يستاء ويغضب، فالله يريدنا أن نفكر فيه – على الأقل في بيته. وهناك أمر آخر يجب أن نفعله في بيت الله. يجب أن نطلب من الله أن يغفر خطايانا. هناك قصة خيالية عن جنية ذهبت إلى باب السماء فلم يسمح لها بالدخول. قال لها الملاك: "إن أحضرت معك الهدية العظمى لدى السماء فسوف يسمح لك بالدخول". فطارت الجنية بأسرع ما تستطيع إلى الأرض وأحضرت أجمل زهرة ذات أجمل رائحة وعادت بها إلى السماء، لكن الباب بقى مغلقاً. فبسرعة طارت عائدة إلى الأرض وهذه المرة أحضرت نقطة من دم بطل شاب كان قد مات للتو دفاعاً عن بلاده، لكن باب السماء ظل مغلقاً. وفي المرة الثالثة عادت إلى الأرض، وبينما هي تتجول رأت رجلاً عجوزاً شريراً يقف بقرب نبع ماء لكي يسقي حصانه، وعندما

رأى الرجل طفلاً صغيراً يركع ليصلي صلاة المساء، وفي الحال مرت بذاكرة الرجل كل ما مضى من حياته الرديئة الشريرة، فتأسف في قلبه، وتبكت على خطاياه، وركع هو أيضاً ليصلي، وبينما هو يصلي كان يبكي.

رأت الجنية كل ما حدث، فأسرعت وحملت قطرة من دموع الرجل التائب وطارت صاعدة إلى السماء، وحالما وصلت إلى الباب وجدته مفتوحاً، فدخلت. لا يوجد ما هو أحب إلى قلب الرب من أن يرى أولاده يتوبون. وهذا ما يجعل يسوع، والكتاب المقدس، والكنيسة أعزاء جداً على قلوبنا، فهم يعلموننا كيف نتوب، فتفتح لنا أبواب السماء.

(١٨)

رؤية الله ومعرفته

"لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ" (تك ٣٢: ٣٠)

كل بنت أو ولد لابد يوماً ما أن يسأل هذا السؤال: "ما هو شكل الله؟". فعندما نصلي إليه، ونقرأ عنه في الكتاب المقدس، فإننا كثيراً ما نتمنى لو استطعنا رؤيته. والكتاب المقدس يخبرنا أنه لا يستطيع أحد أن يرى الله ويعيش، وهذا الأمر كان يحيرني كثيراً، فلم أستطع أن أفهم لماذا لا نستطيع أن نرى هذا الإله الطيب المحب!. وفي يوم من الأيام سمعت قصة ساعدتني على فهم هذا الأمر. فقد كان أحد المرسلين يزور ملكاً من ملوك الهند، وكان يحاول أن يحدث الملك الوثني عن الإيمان بالله الحقيقي، وأخيراً قال له الملك: "لماذا لا تريني إلهك؟ إنني أحدثك عن آلهتي ثم آخذك إليها لتراها، وأنت تحدثني عن إلهك لم تدعني أبداً آراه". فأجابه المرسل

قائلاً: "لكن لا يستطيع أحد أن يرى إلهي، فإن أحداً لا يراه ويعيش". فقال الوثني العجوز: "إنني لا أستطيع أن أفهم هذا".

عندئذ اتجه المرسل إلى النافذة، ودعا الملك ليقف بجانبه فيريه شيئاً. ثم أشار إلى الشمس وطلب منه أن يحدق بها للحظة. ولما حاول الملك، تحول عن النافذة وقال: "لا أستطيع أن أنظر إلى الشمس. إنها تعميني". فقال المرسل: "نعم، إن هذه الشمس هي أحد خدام الله المتضعين، فإن كنت لا تستطيع النظر إليها فهل تظن أنك تستطيع أن تنظر إلى الله نفسه؟". هذا هو السبب أننا لا نستطيع أن نرى الله. أنه عظيم وعجيب ومنير لدرجة لا تستطيع معها أبصارنا أن تنظر إليه. ربما لا نستطيع أن نرى وجه الله، لكننا نستطيع أن نقترب إليه إن كنا نعرف كيف. في أيام موسى نزل الرب إلى جبل سيناء، فهرب الشعب كله لأنهم خافوا جداً، لكننا نقرأ أن موسى لم يخف.

منذ عدة سنوات ذهب بعض الرجال إلى واشنطون لكي يروا رئيس الجمهورية. وعندما وصلوا إلى باب البيت الأبيض حيث يعيش الرئيس قيل لهم أنه مشغول جداً وأن عليهم أن ينتظروا وقتاً طويلاً جداً قبل أن يراهم. فجلسوا هناك وانتظروا. وبينما هم ينتظرون أتى ولد صغير واجتازهم وفتح باب حجرة الرئيس ودخل وجلس بجواره. هل تعلمون لماذا دخل هذا الطفل إلى حجرة الرئيس بينما كان على الجميع أن ينتظروا في الخارج؟ لأنه كان ابن الرئيس، لذلك فكان باستطاعته أن يراه حينما يشاء. ولنفس هذا السبب لم يخف موسى من أن يوجد في حضرة الله، فقد كان ابناً لله، وكان الله يحبه، وهو كان يحب الله.

إن كنا نحب الله، فهو يحبنا، ونصبح أولاداً له، ويكون بإمكاننا أن نقترب إليه في أي وقت نشاء.

إن الله يريدنا أن نعرفه. مرة وجد ملك حكيم أراد أن يتعرف على رعاياه، وأراد أن يعرفه رعاياه. فبينما كان يعيش في القصر كان من المتعذر عليه أن يعرفهم جيداً. كانوا بعيدين جداً عنه. لذلك ارتدى ملابس تخفي حقيقته عنهم، ومضى وعاش وسطهم كنجار. ولم يكونوا يعرفون من هو ذلك العامل الفقير. لكنه كان طيباً ورقيقاً بدرجة جعلتهم جميعاً يحبونه وأخيراً اكتشفوا أنه ملكهم.هذا هو ما فعله يسوع تماماً. لقد أتى إلينا وعاش بيننا كعامل فقير. لقد أتى ليرينا كم يحبنا، ولكي يجعلنا نعرفه ونحبه. وقبلما يمضي عنا قال: " اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ" (يو ١٤: ٩). هذه هي الحقيقة التي أود أن يتذكرها جميعكم. إن أردت أن ترى الله، فانظر إلى يسوع. خذ العهد الجديد واقرأ عنه، وتعلم أن تعرفه، وعندئذ سوف تعرف الله.

(١٩)

ما الذي فعله يسوع عندما كان طفلاً؟

"جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا" (أع ١٠: ٣٨)

يحدثنا العهد الجديد عن الكثير من أعمال يسوع في أيام تجسده. أنه لا يخبرنا كثيراً عن طفولته، لذلك يجدر بنا أن ندرس جيداً القليل الذي نعرفه عن هذه الفترة العزيزة من حياته. ما هو نوع المكان الذي عاش فيه يسوع عندما كان طفلاً؟ كان يعيش في مدينة صغيرة جداً، فقيرة وقذرة للغاية. كانت بعض شوارعها ضيقة جداً لدرجة أن أية سيدة كانت تستطيع أن تمد يدها من نافذة بيتها فتصافح جارتها التي

تعيش مقابلها. وإن مرت عربة أو جمل في أحد هذه الشوارع الضيقة للغاية والمظلمة كان على الأطفال أن يحتموا في بيوتهم لكي يفسحوا لها الطريق. وكانت الشوارع قذرة جداً، ففي تلك الأيام لم تكن هناك مجاري، أو عربات لجمع القمامة، ولذلك كانت القاذورات تملأ المكان. ولم تكن الشوارع تبدو نظيفة بعض الشيء إلا عندما تتساقط الأمطار بغزارة. وكان يسوع يعيش في بيت صغير وفقير، فيه أثاث قليل جداً. لم تكن لديه أية وسيلة من وسائل المعيشة السهلة المترفة التي نتمتع بها في بيوتنا هذه الأيام. كان ولداً فقيراً جداً. لم تكن هناك أسرة أو مقاعد في بيته، ولذلك فقد كان ينام على سجادة صغيرة مفروشة على الأرض.

في أيامنا هذه مرات نسمع بعض الأولاد أو البنات يتذمرون لأنه ليس لديهم بعض الأشياء التي لدى غيرهم، لكنني أؤكد أن جميعكم تعيشون في بيوت أفضل وأجمل بكثير من البيت الذي عاش فيه يسوع عندما كان ولداً صغيراً. ماذا كان يسوع يفعل عندما كان ولداً صغيراً؟ أعتقد أنه كان يعيش كأي ولد في أيامنا هذه. فلابد أنه كان يحب أن يجري ويلعب ويتمتع بوقته. وبعض الألعاب التي نلعبها الآن عمرها آلاف السنين، لذلك ليس من المستبعد أن الطفل يسوع كان يلعب نفس الألعاب التي يلعبها الأولاد والبنات الآن.

لكن يسوع لم يكن يلعب فقط. لقد كان يفعل شيئاً آخر بخلاف اللعب. نقرأ عنه أنه "جال يصنع خيراً"، وهذا يعني أنه حيثما كان يذهب كان يحاول أن يجعل الناس أكثر سعادة بمساعدته لهم. منذ مدة طويلة مضت كان يوجد أدميرال

انجليزي عجوز، وأينما كان يذهب كان يحمل معه في جيبه كمية من الحبوب، وفي كل فرصة مواتية كان يزرع حبة من تلك الحبوب. ولما سأله أحدهم عن السبب قال له: "أريد أن يكون لدينا عدد كاف من الأشجار لنصنع منها ما تحتاجه بلادنا من سفن". ألا يكون أمراً جميلاً ونافعاً للغاية أن كلا منا يحمل معه من الصلاح والسعادة ما يمكنه من أن يترك بعضاً منها في كل مكان يذهب إليه؟. هذا ما كان يسوع يفعله. كان يجول يصنع خيراً.

سمعت عن رجل كان يركب القطار كل مساء من مكان عمله إلى منزله. وليس أمراً مبهجاً كثيراً أن يركب الإنسان القطار المزدحم ثلاثة أرباع الساعة كل مساء، لكن هذا الرجل كان يسعد بوقت ركوب القطار لأبعد حد. ودعوني أخبركم كيف. ففي كل مرة كان يركب فيها القطار كان يجد بعض الناس واقفين. أحدهم قد يكون سيدة متعبة، أو رجلاً عجوزاً لا يستطيع أن يسرع بالقدر الكافي ليحصل على مقعد قبلما يحتل الآخرون كل المقاعد. فهذا الرجل كان يقول في نفسه: "أنني كبير وقوي، وفي كل ليلة سوف أحتل مقعداً أحجزه لشخص آخر يحتاجه أكثر مني".

وهكذا، ففي كل مساء كان هذا الرجل من أوائل من يصعدون إلى القطار، وكان يحصل دائماً على مقعد ممتاز، وعندما يزدحم القطار يتنازل عن مقعده لمن يرى أنه أكثر الوقوف تعباً وحاجة للجلوس. مرة قال: "كنت كثيراً ما أفكر كيف أن إدارة السكك الحديدية لا توفر أماكن كافية للناس في وقت الزحام. لكنني سعيد بذلك لأنه يعطيني الفرصة أن أساعد غيري من

الناس". توجد قصيدة قصيرة يجدر بنا جميعاً أن نعرفها، يقال أن كاتبها هو "وليم بن". هذه القصيدة تقول: "سوف أمر في هذا العالم مرة واحدة، ولذلك فأي عمل من أعمال الرحمة أستطيع أن أعمله لأي إنسان فلأفعله الآن. لن أهمل أو أؤجل أن أفعله، لأنني لن أمر في هذا العالم مرة أخرى".

(٢٠)

لم أكن أقصد!

"وَإِنَّ رَجُلاً نَزَعَ فِي قَوْسِهِ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ وَضَرَبَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ أَوْصَالِ الدِّرْعِ" (١مل ٢٢: ٣٤)

منذ حوالي ألفين وسبعمائة سنة كان آخاب ملكاً على إسرائيل. ويوماً ما خرج مع جيشه ليحارب السوريين. كان آخاب جباناً، فكان يخشى أنه إذا رأه السوريون وعلموا أنه أهلك إسرائيل فسوف يحاولون قتله، ولذلك خلع حلة الحرب الملكية ولبس بدلاً منها زي جندي عادي. وأثناء المعركة فتش السوريون عن آخاب فلم يجدوه. وهناك في جيش السوريين كان أحد الرماة بالقوس والسهام، هذا ثبت سهماً في قوسه، وإذ لم يجد أحداً من جيش الأعداء بالقرب منه أطلق سهمه كيفا اتفق بغير هدف. ترى ما الذي حدث لذلك السهم؟ لقد انطلق بسرعة إلى أعلى، وعندما بدأ يفقد سرعته نزل إلى أسفل وأصاب ملك إسرائيل الذي كان يبذل كل ما في وسعه لكي يتفادى أن يقتل في ذلك اليوم. وبغير تعمد، أصاب السهم الملك الجبان "بين أوصال الدرع"! فقتل آخاب.

إن ذلك الجندي السوري لم يتعمد ما فعل. وربما لم يعلم طوال حياته أن السهم الذي أطلقه جزافاً أصاب ملك إسرائيل

وقتله. هل سمعت قط أحد الأولاد أو البنات يقول: "لم أكن أقصد!"؟. في البداية نادراً ما نقصد أن نفعل ما هو خطأ. فلماذا إذاً كثيراً ما نجد أنفسنا وقد فعلنا شراً؟!. مرة قرأت قصة في أحد الكتب المدرسية القديمة عن عامل كان يقوم ببناء سفينة. وأثناء ذلك صادفته قطعة من خشب أصابه التسوس. كان يجب عليه ألا يستعمل قطعة الخشب هذه في بناء السفينة. لكنه فكر في نفسه قائلاً: "إنها قطعة صغيرة جداً، ولن تؤثر إن استعملتها". فثبتها في بناء السفينة، ثم نسى كل شيء بشأنها. وبعد فترة تم بناء السفينة وأنزلت إلى البحر. ولعدة سنوات كانت تبحر بسلام، لكن أتى يوم حين اكتشف إن خشب السفينة أصابه التسوس. حاول البعض إصلاحها، لكن حالتها ساءت تدريجياً. إلى أن كانت يوماً في عرض البحر وبدأت المياه تتسرب إليها. حاولوا بأسرع مما استطاعوا أن ينزحوها. ولكي ينقذ بحارة السفينة حياتهم أسرعوا بالنزول إلى قوارب النجاة. كان لوح الخشب الواحد المصاب بالتسوس سبباً في خسارة سفينة بأكملها.

وذاك الذي ثبت هذا اللوح الخشبي في بناء السفينة لم يكن يقصد أبداً أن اسفينة التي اشترك في بنائها تغرق. تماماً كما لم يقصد ذلك الجندي أن يقتل الملك. لكنه فعل. إن بعض تلك الأمور البسيطة الصغيرة التي لا نقصدها هي التي تسيء إلى الآخرين أكثر من غيرها. يقول إرميا النبي إن اللسان كالسهم. وغالباً ما يكون مثل سهم ذلك الجندي. أنه يفعل ما لم يقصد أن يفعله. حدثتنا الصحف عن بنت فقيرة كانت تعيش في مدينة عظيمة. كان أبوها قد قتل، وكان عليها أن تشتغل لتعول

نفسها ووالدتها وأخوتها وأخواتها. وكانت التزاماتها تستغرق كل ما تتحصل عليه من دخل بحيث لم يتبق لها ما تشتري به ملابس جديدة جميلة. وبعض البنات اللواتي كن يعملن معها في نفس المكان كن يتندرن بملابسها القديمة. كانت البنت حساسة للغاية، ولم تكن تستطيع أن تتخلص من التفكير في هذا الموضوع، لدرجة أثرت على عقلها، فمضت وألقت نفسها في النهر. إن رفيقاتها لم يكن يقصدن أن يجرحن شعورها، لكن ألسنتهن كانت كالسهام، فقتلنها دون أن يقصدن ذلك.

والكلمات الطيبة أيضاً كالسهام. حدثنا أحد كبار الوعاظ أنه بينما كان يعبر المحيط في يوم من أيام الصيف كان معه على ظهر نفس السفينة المحامي العام لولايته. في تلك الليلة كان الواعظ يعبر من أمام غرفة المحامي العام. كان الباب مفتوحاً، فرآه يقرأ الكتاب المقدس. وفي تلك اللحظة رفع المحامي بصره فرأى الواعظ، فقال له: "من فضلك أدخل"، فقال له الواعظ: "أنني سعيد جداً أن أراك تقرأ الكتاب المقدس". فأجابه بالقول: "نعم، أنني اقرأه على الأقل مرة كل سنة. لم أكن أعرف شيئاً عن هذا الكتاب لعدة سنوات مضت. ويوماً ما قالت لي بنت صغيرة: أيها القاضي، هل قرأت الكتاب المقدس كله؟ فقلت: كلا، هل قرأته أنت؟ فقالت: نعم، بالطبع قرأته. هذا جعلني أفكر.. وقلت لنفسي: أنني المحامي العام لهذه الولاية، ولم يحدث مرة أنني أكملت قراءة الكتاب المقدس الذي عليه تتأسس حضارتنا بالكامل. أحسست بالخجل من نفسي، ولذلك بدأت أقرأ الكتاب المقدس إلى أن أكملت قراءته. ومنذ ذلك الوقت كنت أحرص أن أكمل قراءته على الأقل

مرة كل عام". إن سهم تلك البنت الصغيرة قد أصاب القاضي. لذلك فلنحرص أن تكون الكلمات التي ننطق بها كلمات صالحة، وبذلك فإنها عندما تصيب لن تجرح بل تفيد.

(٢١)

البدايات الصغيرة

"هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ، أَيَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ؟ فَاللِّسَانُ نَار" (يع ٣: ٥، ٦)

منذ حوالي خمس وأربعين سنة حدث حريق مروع في مدينة شيكاغو، فأحرقت النار بيوت سبعين ألف شخص. وقتلت مائتين، وأتلف أملاكاً قيمتها مائة وتسعون مليون دولار. هل تعلمون كيف بدأت تلك النار الضخمة؟ لقد بدأت من مصباح صغير حمله أحدهم معه إلى المزرعة، وبينما هو يحلب البقرة سقط المصباح على بعض القش فأمسكت به النار وبدأ الحريق الكبير. أعرف ولدين صغيرين أوصاهما أبوهما ألا يلعبا بأعواد الثقاب. كان بيتهما يقع بالقرب من غابة كبيرة تمتد فوق الجبل لعدة أميال. وفي يوم من الأيام قام هذان الولدان برحلة إلى الغابة وأخذا معهما بعض الثقاب. قال أحدهما: "هلم نوقد ناراً في أوراق الشجر المتساقطة". وهكذا عصيا وصية والدهما وأشعلا النار. وبعد أن لاحظاها فترة تركاها وانصرفا. في تلك الليلة، بينما كانا نائمين، دق جرس انذار الحريق في القرية. لقد اشتعلت الغابة بالنار. خرج كل رجال القرية، وعملوا بكل قوتهم طوال تلك الليلة واليوم التالي بالكامل إلى أن استطاعوا إخماد النار، ولكن بعد أن أتت على ثروة كبيرة من الأخشاب الممتازة. فيا للخسارة الكبيرة التي سببتها نار صغيرة!

يقول الرسول يعقوب أن اللسان كالنار. أنه صغير كلهب عود الثقاب، لكن إن لم نسيطر عليه فهو قادر أن يفعل شروراً عظيمة. توجد أسرتان تعيشان على جانبي أحد الشوارع، كل منهما في مقابل الأخرى. تشاجر الرجلان، فامتنعت كل من السيدتين عن محادثة الأخرى، وأعطيت التعليمات للأولاد ألا يختلطوا ببعضهم البعض، وكانت الخصومة بين هاتين العائلتين حديث المدينة كلها، كل هذا بدأ بكلمة غير طيبة قالتها إحدى السيدتين عن الأخرى. هذا هو ما تعنيه هذه الكلمات: اللسان نار". أنه صغير جداً، لكنه يستطيع أن يتسبب في قدر هائل من المشاكل. واللسان، ليس فقط يستطيع أن يتسبب في شرور كبيرة، لكنه أيضاً يستطيع أن يفعل خيراً عظيماً، إن كان يتحدث بما هو حق وما هو صالح. في مدينة نيويورك يوجد مبنى يدعى "إرسالية ماكأولي". إنها إرسالية من أشهر الإرساليات في كل العالم لأن الآلاف من الأشرار قد نالوا الخلاص هناك وبدأوا حياة جديدة صالحة. ودعوني أخبركم كيف سميت الإرسالية بهذا الاسم. فمنذ سنوات كثيرة مضت كان في المدينة رجل شرير جداً اسمه "جيري ماكأولي". كان قد قضى غالبية حياته في السجون، فقد كان أحد لصوص الميناء الذين يسطون على السفن أثناء وجودها في الميناء. وحالما كان يخرج من السجن كان يرتكب جريمة أخرى يعود بسببها إلى السجن مرة أخرى. لقد تبرأ منه كل أفراد عائلته، وكان رجال الشرطة يبغضونه بغضة شديدة. لم يكن له صديق واحد في كل العالم، وربما على امتداد سنوات عديدة لم يفكر إنسان أن يوجه إليه كلمة طيبة واحدة. وفي أحد أيام الشتاء الباردة كان

يقف في ركن الشارع يرتعش. كان جائعاً، فلم يكن قد تناول طعاماً منذ الصباح. عندئذ مر به رجل توقف عنده وكلمه ببعض كلمات رقيقة. كان قد مر وقت طويل منذ أن سمع "ماكأولي" شخصاً يحدثه بمثل هذه الطيبة والرقة، فلم يعرف بماذا يجيب. وكان هذه الكلمات الرقيقة هي التي قادت هذا الإنسان التعس إلى الإيمان بالمسيح. فمضى وافتتح مكاناً ليحاول فيه أن يساعد من كانوا في مثل حالته قبل الإيمان. وقبل أن يموت كانت آلاف النفوس قد نالت الخلاص بواسطته. والسبب؟ تلك الكلمات الطيبة القليلة. إن عود الثقاب أقل حجماً من أصبع طفل صغير، لكنه يستطيع أن يعمل أعمالاً عظيماً. أنه يستطيع أن يشعل النار في الموقد لتدفئة المنزل أو طهو الطعام للأسرة كلها، فيسعد ويسر الجميع. أو قد يشعل النار في المنزل ويحرق كل الأشياء التي نعتز بها ونحبها، فيحزن ويتألم الجميع. إن اللسان مثل عود الثقاب. إن استخدمناه للنطق بكلمات رقيقة لطيفة فسوف يبارك ويسعد الآخرين. لكن إن تركناه ينطق بكلمات شريرة فسوف يكون سبب لعنة لا بركة.

(٢٢)

المصابيح

"وَتُدْخِلُ الْمَنَارَةَ وَتُصْعِدُ سُرُجَهَا" (خر ٤٠: ٤)

إن أول المصابيح التي عرفها العالم هي المشاعل، فكانوا يشعلون ناراً ويثبتوها في نهاية عصى خشبية يرفعونها إلى أعلى لتنير الطريق. وبعد ذلك بفترة اخترعت المصابيح المصنوعة من النحاس، والتي كانت تملأ بزيت الزيتون، ويضعون فيه فتيلة يشعلونها فتعطي نوراً أفضل بكثير من نور المشاعل.

ومع الزمن تعلم الناس صنع الشموع، وحتى يومنا هذا يوجد من يقولون إن ضوء الشموع هو أفضل أنواع الضوء. ومنذ سنوات اكتشف البترول في بنسلفانيا، ومنه استخرج الكيروسين. وتلا الكيروسين استخدام الغاز في الإضاءة. والآن لدينا الكهرباء التي تضئ بيوتنا ليلاً بأنوار باهرة تكاد تحولها إلى نور النهار. وربما يكون من المفيد أن نحاول تخمين ماذا سيكون التطور القادم في مجال الإضاءة، فإننا نتحسن تدريجياً من خطوة إلى أخرى ومن إختراع إلى ما يتلوه.

وفي آية موضوعنا نجد الرب يأمر الشعب أن يأخذوا المنارة، ويوقدوا بها المصابيح. في مدينة روما توجد كنيسة ليس بها مصباح واحد. إن هذا ليبدو غريباً، وأول سؤال يسأله الناس هو: ماذا يفعلون بغير مصابيح عندما يعقدون خدمة مسائية؟ والواقع أنك إن دخلت هذه الكنيسة مساء قبل بدء الخدمة تماماً سوف تجدها مظلمة، وسوف يكون عليك أن تستند على الحائط حتى لا تتعثر وتسقط. لكن حالاً يبدأ الناس في الوصول إلى الكنيسة، وكل منهم يحمل معه شمعة مضاءة. إن ضوء شمعة واحدة لا يفيد كثيراً في كنيسة كبيرة كهذه، لكن الناس يستمرون في الوصول إلى الكنيسة واحداً بعد الآخر، فيصل عددهم إلى المئات، كل منهم يحمل شمعة مضاءة، وفي خلال فترة وجيزة تتحول الكنيسة المظلمة إلى ما يشبه نور النهار. كل من هؤلاء الناس قد قام بواجبه، فغمر النور كل أرجاء الكنيسة.

مرة قال يسوع: "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ" (مت ٥: ١٤). أننا نعيش في عالم مظلم، وما أكثر الشر والخطأ فيه، لكن إن حرص كل

منا أن يستمر نوره الصغير مضيئاً، فإن ظلمة العالم تتحول إلى نور. هل رأيت مرة مصباحاً مدخناً؟ لقد رأيت بعض المصابيح تكاد تعطي نوراً، والسبب في ذلك أن الفتيلة ليست كما ينبغي أن تكون، أو أن هناك قذارة ما داخل المصباح، لذلك يجب تنظيف المصباح جيداً حتى يعود ويعطي نوره القوي اللامع. بعضنا يشبه هذا المصباح المدخن. فكان من الواجب أن يشع منا نور جميل براق، لكننا لا نعطي العالم حولنا سوى شعلة مختنقة تكاد تنطفئ. لقد دخل شيء ما إلى حياتنا فأفسد نورنا. ربما يكون ذلك الشيء الصحبة الشريرة. أو ربما كذبة قلناها، أو خطأ اقترفناه في حق شخص ما. لا يستطيع مصباح أن يعطي نوراً قوياً إلا إذا كانت الفتيلة جيدة ونظيفة، ولا تستطيع حياة ما أن تضئ للآخرين إلا إذا كان القلب نقياً طاهراً.

توجد قرية صغيرة جداً على الساحل الشرقي، شوارعها الضيقة ليست بها مصابيح، لكن النور يغمرها ليلاً فلا يتعثر أحد في طريقه فيها. والسبب بسيط جداً. فكل سيدة تسكن على جانبي كل شارع تضع مصباحاً في شباك بيتها حالما يحل الليل، وبذلك تضاء الطرقات، ويغمر النور القرية بأكملها. وقد استؤمن كل منا على جزء صغير من العالم المحيط بنا، حيثما قدر لنا أن نعمل ونعيش. فإن حرصنا كلنا أن تكون أنوارنا مشتعلة ووهاجة على الدوام، فإن طريق الحياة يصبح منيراً لنا ولمن حولنا. عندما حمل سمعان الشيخ الطفل يسوع بين ذراعيه قال: "الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ ...لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ.... نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ" (لو ٢:

٢٩ – ٣٢). إن الله يريدنا أن نكون أنواراً في بيوتنا، وفي مدارسنا، وأينما نوجد.

(٢٣)
أحبوا أعدائكم
"لكِنّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ:
أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ" (لو ٦: ٢٧)

تحفل الصحف كل يوم بأخبار الحروب. إنها تخبرنا أن الألمان يكرهون الإنجليز، والإنجليز يبغضون الأتراك، والأتراك لا يحبون الإيطاليين، والإيطاليين يكرهون النمساويين، والنمساويين يبغضون الروس.. كل إنسان يبغض إنساناً آخر وهكذا تحدث هذه الحروب الممقوتة، الحروب التي تعلم الناس أن يبغضوا أعداءهم. أما يسوع فيعلمنا أن نحب أعداءنا، وهو دائماً يوصينا أن نفعل شيئاً عسيراً. ليس من العسير أن نحب والدينا، وأصدقاءنا، وأولئك الذين يحبوننا. لكن ليس من السهل أن نحب أولئك الذين يكرهوننا. لقد أحب يسوع أعداءه. أحب يهوذا، وصلى لأجل أولئك الذين صلبوه، ومات لكي يخلصهم من خطاياهم. ولقد أوصانا أن نحب أعداءنا. وأن أحب الناس أعداءهم فلن تكون هناك حروب فيما بعد. هناك عدة أسباب تدفعنا لأن نحاول أن نحب أعداءنا، أولها أنه أن أحببناهم فلن يستمروا أعداء لنا لفترة طويلة، بل لابد أن يتحولوا إلى أصدقاء.

يقول بولس: "٢٠فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ" (رو ١٢: ٢٠). في أوقات الحرب، عندما يريد جيش أن يهزم مدينة فلا تعاديه فيما بعد، كانوا يشعلون فيها النار. كان هذا أسلوباً أكيداً

لتحقيق الغلبة على الأعداء، فسوف يصبح من المستحيل عليهم أن يستمروا أعداء فيما بعد. حدثتنا إحدى الصحف عن شخص إنجليزي وآخر ألماني كلاهما جرحا جراحاً خطرة في إحدى المعارك التي دارت في شمال فرنسا. كانا يرقدان على مقربة من بعضهما داخل أحد الخنادق. كان مع أحدهما بعض الماء في زمزميته، والآخر لم يكن معه ماء، فزحف من معه الماء إلى أن وصل إلى الآخر وتقاسمه معه. وتلا ذلك أن بدأ كل منهما يحب الآخر، وأصبح من المستحيل عليهما أن يستمرا عدوين.

إن أفضل وسيلة للانتصار على عدو هي أن تحبه لا أن تحاربه. وسبب آخر يدفعنا إلى محبة أعدائنا هو أن هذه المحبة تظهر أفضل ما فينا من صفات. إن كانت لديك حديقة صغيرة، ما الذي تفعله لها؟ إنك سوف تغرس فيها بعض البذور وتزرع فيها بعض الزهور لكي تصبح جميلة ونافعة. ومن غير المعقول أن تزرعها شوكاً أو نباتات سامة فتصبح بلا فائدة، بل وضارة. وبنفس الكيفية فإن يسوع يخبرنا أننا ينبغي أن نحرص على أن نزرع بذوراً مفيدة في حديقة القلب، بذور المحبة واللطف. ينبغي ألا ندع بذرو واحدة للكراهية تنمو هناك، حتى الكراهية للأعداء.

وهناك سبب أعظم يدفعنا لأن نحب أعداءنا، وهو أن يسوع أمرنا أن نحبهم. منذ زمن بعيد تجدد أحد العبيد الزنوج في جزر الهند الغربية وآمن بالمسيح. وكان ذا نفع كبير لسيده فجعله مشرفاً على مزارعه. وفي يوم من الأيام كان السيد يزمع شراء بعض العبيد الجدد من سفينة وصلت لتوها إلى الشاطئ،

فطلب من هذا المشرف أن يرافقه ليشترك معه في اختيارهم. وبعد فترة من البحث والفحص وجد المشرف شخصاً عجوزاً بين العبيد فطلب من سيده أن يشتريه. فضحك السيد سخرية بالفكرة، فما هو النفع من شراء شخص عجوز كهذا؟ لكن المشرف ترجى السيد بإلحاح أن يشتري الرجل العجوز، فوافق السيد. وفي الطريق إلى المنزل كان المشرف يعتني بالرجل العجوز المسكين عناية خاصة. وعندما وصلوا إلى المنزل أخذه إلى كوخه الخاص، وجعله ينام على سريره، وقدم له أفضل طعام، وعامله كملك. فاندهش السيد جداً لهذه الطيبة في معاملة المشرف لهذا الأفريقي العجوز، وساله قائلاً: "هل هذا الرجل أبوك حتى تعتني به بهذه الكيفية؟"، فأجابه: "لا يا سيد، أنه ليس أبي".

- ربما هو أخوك؟
- كلا أنه ليس أخي.
- إذاً فلابد أنه عمك، أو صديق قديم لك؟
- كلا يا سيدي، أنه ليس صديقاً على الاطلاق.
- إذاً لماذا تحيطه بكل هذه الشفقة والعناية؟
- يا سيد، أنه عدوي القديم! إنه الرجل الذي أخذني من بيتي وباعني لتاجر الرقيق. وكتابي المقدس يعلمني أن أحب عدوي، وأن أطعمه عندما يكون جائعاً، وأن أسقيه عندما يكون عطشان. وأنا أفعل معه ما أوصاني كتابي المقدس أن أفعله.

ألا يكون أمراً مفيداً وجميلاً جداً إن كنا كلنا نحاول أن نفعل ما يعلمنا كتابنا المقدس كما فعل ذلك العبد؟! لن تكون هناك حروب أو اضطرابات فيما بعد، بل سلام وسعادة.

(٢٤)
جواهر الله
"وَيَكُونُونَ لِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ،
فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَنَا صَانِعٌ خَاصَّةً" (ملا ٣: ١٧)

وكلمة "خاصة" هنا تترجم بالإنجليزية "جواهري". في فترينة الجواهرجي يوجد حجر صغير عديم اللون، لا يزيد حجمه عن حجم ظفر أحد الأصابع، وثمنه ألف دولار! هذا الحجم الصغير، ذو القيمة المرتفعة، يسمى "جوهرة". والجواهر هي أغلى الأشياء ثمناً في العالم. وفي بعض الأحيان عندما يتحدث الوالدون عن أولادهم فإنهم يدعونهم جواهرهم، إشارة إلى قيمتهم الكبيرة في أعينهم. منذ زمن بعيد كانت هناك أم رومانية اسمها "كورنيليا". وفي أحد الأيام زارتها إحدى جاراتها وطلبت منها أن تريها جواهرها. فنادت كورنيليا على ولديها وقالت لجارتها "هذان هما جواهري".

وفي آية موضوعنا يتحدث الله عن شعبه باعتبارهم جواهره. إن قيمتهم عنده أكثر من قيمة أي شيء آخر في كل العالم. وهناك عدة حقائق عن الجواهر يجب علينا أن نتذكرها: أولها أنها غالية جداً. توجد ماسة في تاج امبراطور روسيا اسمها "ماسة أورلوف" ثمنها عدة ملايين من الدولارات ولها تاريخ شيق. فمنذ زمن بعيد كانت عيناً لأحد التماثيل في الهند، رآها رجل فرنسي هناك وقرر في قلبه أن يستولى عليها. فصنع قطعة من الزجاج تشبهها تماماً. ووضعها في مكانها، وأخذها وهرب. وبعد فترة بدأ الخوف ينتابه من حمل جوهرة قيمة كهذه في جيبه، فباعها إلى قبطان سفينة لقاء عشرة آلاف دولار.

فأخذها القبطان إلى أوربا وباعها لأحد التجار مقابل مائة الف دولار. وبعد أن بيعت عدة مرات اشترها الكونت "أورلوف" بمبلغ يزيد على نصف مليون دولار وقدمها هدية إلى كاترين امبراطورة روسيا. ولذلك فإن القيصرة تعتز بهذه الماسة جداً، لأنها غالية جداً.

والله يدعونا جواهره لأنه دفع فينا ثمناً غالياً جداً. لقد دفع فينا ثمناً أغلى بكثير من الثمن الذي دفع في ماسة امبراطورة روسيا. لقد دفع فينا ابنه الوحيد، لذلك لا عجب إن كان يدعونا جواهره. وهناك جواهر تقليدية. وبعضها مصنوع بمهارة بالغة لدرجة يصعب معها التمييز بينها وبين الجواهر الحقيقية. إنها تشبه الجواهر، لكنها بلا قيمة، وإن أخذت أحداها إلى الجواهرجي فإنه في الحال يخبرك أنها مزيفة. وبعض الناس يشبهون هذه الجواهر المزيفة. عندما نراهم لأول مرة يخيل إلينا أنهم جواهر حقيقية، لكن بعد أن نختبرهم ونعرفهم حق المعرفة نكتشف أنهم مزيفون، غير مخلصين، وأشرار. قد لا نستطيع نحن دائماً أن نميز الجواهر الحقيقة من التقليدية، لكن الله يعرف. إننا لا نستطيع أن نخدعه. أحياناً نرى أولاداً وبنات يبدون طيبين وعلى خلق، لكن سرعان ما نكتشف أنهم غير صادقين أو غير أمناء، أو أن شيئاً ما يشوبهم. أنهم جواهر معيبة وغير كاملة، والله يريد جواهره بغير عيوب. عندما نستخرج الجواهر من باطن الأرض فإنها غالباً ما تكون خشنة غير مصقولة، وقبل بيعها ينبغي تنظيفها وصقلها. فهي تقطع، وتنعم أسطحها، وتصقل. هذه عمليات مؤلمة، لكنها لازمة لكي تصبح الجواهر كاملة وذات قيمة. وجواهر الله أيضاً تحتاج أن

تصقل، ولذلك فإن الرب يسمح لنا ببعض المتاعب والآلام من آن لآخر. وهذه تنقينا وتجعلنا كاملين. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يسوع قد تكمل بالآلام، ولذلك فهو يسمح لنا نحن أيضاً بالآلام لكي نتكمل، تماماً كما يحدث مع الماسات والجواهر. فنحن جواهر الله!

(٢٥)

التقدمة

"وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ" (تك ٤: ٣)

كثيراً ما نسمع كلمة "تضحية"، ويجدر بنا أن نعرف ما تعنيه تماماً. فالضحية هي شيء نضحي به لأجل الله، أو لأجل شخص آخر. والله يتوقع منا أن نضحي لأجله، فلقد ضحى تضحيات عظمى لأجلنا، ولذلك فله كل الحق أن يتوقع منا أن نفعل مثله. والتضحيات التي يتوقعها منا الله هي تضحيات مكلفة. هل تعرفون لماذا قتل قايين هابيل ؟ لقد قتله بدافع الحسد. ففي يوم ما أتى كل من هذين الشابين ليقدم قرباناً لله. كان هابيل يحب الله، ولذلك فقد أخذ أفضل غنمة في كل القطيع وقدمها لله. وربما أثناء التقدمة قال: "من كل ما أمتلك لا يوجد ما هو أعز من أن أقدمه لله، ولذلك فسوف أقدم له أفضل ما عندي".

لكن قايين لم يفعل بالمثل، لم يحب الله كما فعل هابيل، ولذلك عندما جاء دوره ليقدم قرباناً لله قال: "أعتقد أنه يجب أن أقدم لله شيئاً ما، وأعتقد أن أي شيء يفي بالغرض". فأخذ بعض ثمار الأرض التي لم تكلفه شيئاً وقدمها للرب. وجميعكم

تعلمون ما فعله الرب. لقد قبل ذبيحة هابيل، أما قربان قايين فلم يقبله، فالله لا يقبل منا أية تضحية أو تقدمة لا تكلفنا شيئاً. هذا الأمر جعل قايين يغتاظ جداً. لم يكن في استطاعته أن يقتل الله، لذلك فقد قتل هابيل أخاه.

وهناك قصة مشابهة في العهد الجديد، عندما دخل يسوع الهيكل يوماً ما ووقف بجانب صندوق العطاء ليرى ما الذي يقدمه الناس. في تلك الأيام كانوا يضعون صندوقاً ضخماً في أحد أركان الهيكل له فتحة من أعلى ليضع فيه الناس تقدماتهم. وأنتم تعرفون أن بعض الناس لا يرغبون أن يرى الآخرون ما يقدمونه من عطايا عندما يمر بهم صندوق العطاء. إن لديهم المال الوفير الذي ينفقونه لأجل مسراتهم واحتياجاتهم الأخرى، لكن عندما يأتي يوم الأحد نجدهم يقدمون أصغر عملة لديهم في عطاء الرب، ولذلك نجدهم – وهم يقدمون عطاياهم – يحرصون أن لا يرى أحد ما يقدمون.

وفي الهيكل كان الجميع يستطيعون أن يروا ما يلقى في الصندوق. ولذلك ففي ذلك اليوم، عندما وقف يسوع والتلاميذ بالقرب من الصندوق رأوا عدداً من الأغنياء يأتون أمام الجميع ويلقون نقوداً فضية في الصندوق، بعدها يرفعونها عالياً لكي يراها الجميع، ثم يلقونها في الصندوق بكيفية تحدث رنيناً عالياً يسمعه الجميع، هذا كله برغم أن عطاياهم لم تكلفهم شيئاً، فقد كان لهم الكثير، وما قدموه في الواقع لا يزيد كثيراً عما يعطونه عادة لأي مستعط. عندئذ جاءت امرأة أرملة فقيرة. كان كل ما معها فلسين، قيمتها أقل من نصف قرش، لكنهما كانا كل ما تملكه في العالم، ومع ذلك فقد ألقت بهما في صندوق

العطاء. وأشك أنها ربما باتت في تلك الليلة بغير عشاء، وربما بغير افطار في صباح اليوم التالي، لكنها قدمت كل ما تملك. رآها الرب وقال: " إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ" (لو ٢١: ٣). كانت تقدمتها محبوبة ومقبولة لدى الله، لأنها كانت تقدمة مكلفة. إن الله لا يقيس عطايانا بمقدار ما نقدمه، لكن بمقدار ما يبقى لنا بعدما نقدم عطايانا. أنه لا يهتم بالعطايا التي لا تكلفنا شيئاً، مهما كانت، فالعطايا المكلفة هي العطايا الحقيقية.

(٢٦)
الشفقة
"احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي....
لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ" (مت ١١: ٢٩، ٣٠)

ما هو النير؟ وما هي علاقة النير بالشفقة؟ النير هو إطار خشبي يوضع على ثورين ليربطهما معاً إلى عربة نحمل عليها الأثقال. وقد اعتدت أن أفكر أن النير حمل ثقيل جداً، فهناك من يقول: "جيد للمرء أن يحمل النير في صباه"، وكأن حمل النير هو أمر صعب وثقيل. لكن النير ليس ثقلاً على الاطلاق. أنه الذي يجعل كلا من الثورين يساعد أحدهما الآخر ويشتركان معاً في حمل الأثقال. وبغير النير يصبح جر هذه العربات الثقيلة أكثر صعوبة ومشقة. فالنير يجعل المهمة سهلة. ربما يساعدنا هذا الوصف على فهم قصد يسوع من القول: "احملوا نيري عليكم... لأن نيري هين". فيسوع يريدك أن تسمح له أن يساعدك في حمل أثقالك، تماماً كما يساعد الثوران كل منهما

الآخر. إن كان لديك حمل ثقيل، فأشركه معك في حمله، فسوف يحمله مقابلك، ويصبح الأمر أسهل بالنسبة لك. والنير يشبه الشفقة. مرة سئل أحد الأولاد عن معنى كلمة الشفقة، فأجاب قائلاً: "الشفقة تعني أن نحمل عن الآخرين نصف ما يحملون".

عندما كنت ولداً صغيراً أذهب إلى مدرسة القرية، اعتاد بعض الأولاد أن يذهبوا إلى نبع يبعد حوالي ربع ميل ليملأوا جردل ماء. إن حاول أحد هؤلاء أن يحمل جردل الماء بمفرده فإنه سوف يجده حملاً ثقيلاً جداً. لكننا كنا نحضر عصا طويلة ونعلق الجردل في منتصفها وكل ولد يحمل طرفاً من العصا على كتفه. وبهذه الكيفية يصبح الحمل هيناً جداً. أننا نستطيع أن نشترك مع الآخرين ليس فقط في حمل الأشياء الثقيلة التي نحملها بأيدينا، بل في حمل متاعبهم. هل صادفت مرة مشكلة أقلقتك كثيراً، فذهبت وحدثت أباك أو أمك عنها؟ ربما بعدما حدثت أيا منهما عن مشكلتك اكتشفت أن ثقلها قد نقص إلى نصف ما كان عليه من قبل، وهذا لأن من تحدثه يشترك معك في حمل ثقل مشكلتك. وهذا هو ما يريدنا يسوع أن نفعله. فإن كانت لدينا متاعب، لنحدث يسوع عنها، ولندعه يساعدنا في حملها.

قرأت قصة عن الحرب بين الفرنسيين والألمان منذ عشرات السنين. لقد انهزم الجيش الفرنسي وتقهقر في اتجاه باريس. لم يكن لديهم طعام كاف وكانوا يقضون أياماً بأكملها جائعين. وكان ضمن الجيش دوق شاب كان مجنداً كجندي عادي. وفي أحد الايام كان الدوق يأكل قطعة من الخبز الجاف، التي كانت

كل ما لديه، وكان يفكر في الولائم الفاخرة التي كانت له قبل بدء الحرب. فلم يستطع أن يأكل قطعة الخبز اليابسة، فألقاها بعيداً إلى الأرض. وحالاً التقط جندي آخر قطعة الخبز من بين القاذورات وأكلها بنهم. فقال له الدوق: "اعذرني في أني رميت قطعة الخبز، فلم أكن أدرك أن إنساناً ما يمكن أن يكون على درجة الجوع التي أنت عليها". فأجابه الجندي أنه عاش طول عمره يعاني من الجوع. لقد كان يتيماً، يعيش في الشوارع. ثم أصبح صبياً لدى سيد كاد يقضي عليه جوعاً. وتعلم حرفة لم تمكنه من أن يتكسب ما يكفي لكي يشبع جوعه. والآن، فهو جندي في جيش مهزوم، ليس لديه ما يشبع جنوده الجوعى. لقد كان يتمتع بشهية مفتوحة للطعام، لكنه أبداً لم يكن له من الطعام ما يكفيه. عندئذ قال الدوق: "سوف نتقاسم الطعام سوياً في المستقبل، فأنا شهيتي بسيطة جداً وسوف أعطيك جزءاً من مؤونتي". وعندما حان موعد العشاء أكل الجندي الجائع جزءاً من طعام الدوق، ثم ناما سوياً جنباً إلى جنب. وفي منتصف الليل أتى الحارس ليوقظ من عليه الدور في الحراسة. كان الجندي مستيقظاً، لكن الدور لم يكن دوره، بل دور الدوق، فقال الجندي: "أنه ينام نوماً عميقاً، ومن المخجل أن أوقظه، سوف أتولى نوبة الحراسة بدلاً منه". في تلك الليلة هاجم الألمان الجيش الفرنسي، وأصيب ذلك الجندي في موقع حراسته ومات.

وبعد انتهاء الحرب بفترة طويلة كان الدوق مدعواً مع صديق له إلى وليمة حافلة، وفي الطريق إلى هناك إذا به يتوقف فجأة ويلتقط قطعة من الخبز ملقاة على الأرض، وينظفها جيداً

مما علق بها من قاذورات ويضعها بحرص بجوار الحائط، ثم التفت إلى صديقه وقال له: "أنني أفعل هذا في ذكرى صديق لي ضحى بحياته نيابة عني أثناء الحرب". إن الشفقة تعني أن نساعد الآخرين في حمل أثقالهم.

(٢٧)
الصبي الراعي الذي أصبح ملكاً
"وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكًا" (أع ١٣: ٢٢)

كل الأولاد والبنات يحبون الكتب التي تحوي قصصاً حية شيقة. ولا توجد قصص أكثر إثارة وتشويقاً من تلك التي نجدها في الكتاب المقدس. وقصة حياة داود هي واحدة من أجمل تلك القصص ففيها نجد صبياً راعي غنم استدعي من الحقل لكي يمسح ملكاً. ثم نجده يقتل أسداً ودباً، وبعد ذلك أرسل لكي يضرب على العود في حضرة الملك شاول. وبعد فترة نجده يقتل عملاقاً ضخماً مستخدماً في ذلك المقلاع وبعض الحصى. وبعد ذلك أصبح ملكاً. هل قرأتم في كل كتب القصص قصة تضارع هذه؟ ولعل أفضل ما تتميز به هذه القصة أنها قصة حقيقية حدثت فعلاً وليست خيالاً. وفي أفكارنا دائماً نتذكر داود كالصبي الراعي الذي أصبح ملكاً. لقد اختاره الله وجعله ملكاً على شعبه، لكنه لم يكن ليفعل ذلك لو لم يكن داود هو الولد المناسب لهذا الاختيار. وهناك بعض أمور تتعلق بهذا الفتى داود يجدر بنا أن نعرفها ونتذكرها باستمرار، وفي نفس الوقت نحاول أن نقلدها.

أولاً كان داود فتى بعيد النظر – فبينما هو يقوم بأعمال الرعاية كان يفكر ويخطط للمستقبل، ولذلك فعندما اختير

للملك كان مستعداً لذلك. كثيرون منا عندما يخطئون يقولون: "أنني لم أفكر"، وهذه هي المشكلة. إننا لا نفكر بالقدر الكافي، والله يريدنا أن نفكر، أنه يتوقع منا أن نستخدم عقولنا حتى نفعل ما هو صالح، ونتجنب الوقوع في الخطأ.

والحقيقة الثانية التي نلاحظها في حياة داود هي جده واجتهاده. كان يعمل بمثابرة، فعندما كان يشتغل بالرعاية كانت كل مشغولياته هي تلك الغنيمات القليلة. ربما لو وجد ولد آخر في مكانه لكان يلعب هنا وهناك، لكن داود لم يكن يضيع الوقت، فبينما كان يرعى الغنم تعلم العزف على العود أفضل من أي شخص آخر على الأرض. وهناك أيضاً كتب بعضاً من تلك الأشعار البديعة التي نجدها في سفر المزامير. ثم هناك كذلك تعلم الرمي بالمقلاع، فعندما أتى الوقت استطاع أن يقتل جليات. يالحسن استخدامه لأوقات فراغه! إن استطعنا أن نستخدم أوقات فراغنا في عمل مفيد فإننا لابد وأن نصبح في المستقبل أشخاصاً عظاماً كداود. يجب علينا أن نعمل باستمرار، ليس لأجل ما نحصل عليه نتيجة عملنا، بل لأجل ما نستطيع بعلمنا أن نحققه من صلاح وخير.

والحقيقة الثالثة عن داود هي صبره العظيم. كان يعرف كيف يصبر وينتظر. لقد مسح ملكاً، لكن كان عليه أن ينتظر سنين طويلة قبل أن يصبح ملكاً. لقد كان يعرف أن أفضل ما في الحياة يأتي بتمهل. منذ عدة سنوات مضت، عندما كان الجنرال وشنطون يعيش في هذه الولاية، كانت توجد شجرة ضخمة بالقرب من بيته. ربما منذ مئات السنين وقعت بذرة صغيرة جداً على الأرض، وبعد فترة برزت إلى سطح الأرض نبتة صغيرة

أخذت تنمو تدريجياً. وبالبطئها في النمو! كانت تزداد طولاً سنتيمترات قليلة كل سنة، ولذلك فبعد سنوات كثيرة أصبحت شجرة كبيرة. لقد استغرقت زمناً طويلاً لكي تصل إلى ما وصلت إليه، لكنها في نفس الوقت صارت شجرة ضخمة وقوية جداً، عاشت بعد ذلك لقرون عديدة. بعض النباتات والأزهار تنمو وتكبر ربما في مدة لا تتجاوز يوماً واحداً، لكنها سرعان ما تذبل أو تموت وتنتهي. إن كنا نريد أن نعمل أعمالاً عظيمة كداود، فينبغي أن نتحلى مثله بالصبر وطول الأناة. لكن أفضل ما يجب أن نعرفه عن داود هو لطفه. كان لطيفاً مع أخوته، وأصدقائه، وأعدائه. كان متضعاً ومطيعاً لله. قد لا يصيرنا الله ملوكاً، لكن إن كنا نحاول أن نقتدي بداود، وتكون لنا فضائله التي ذكرناها، فأنا متأكد أن الله سوف يباركنا ويفعل بنا أموراً عظيمة.

(٢٨)

حفظ الأفكار طاهرة

"فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ" (أم ٤: ٢٣)

على بعد عدة أميال من احدى المدن الكبرى، هناك فوق الجبال، توجد بحيرة صغيرة. غير مسموح للقوارب أن تبحر فيها، وكذلك فإن الصيد ممنوع فيها، ولا تستطيع الحيوانات أن تقترب منها. وهناك حارس يعيش بالقرب من البحيرة، ليس له عمل إلا أن يحرسها فلا يستطيع إنسان أو حيوان أن يقترب منها. ولو سألت الحارس عن سر يقظته المستمرة في حراسة البحيرة لأخبرك أنه في أحد أطرافها توجد ماسورة تحمل الماء إلى المدينة، فيشربها آلاف البشر كل يوم. ولذلك فإن البحيرة

تحرس بالليل والنهار، فماء الشرب هو مصدر حياة المدينة، ولذلك فينبغي ألا يسمح لأي شيء غير نقي أو غير نظيف أن يوجد فيها. هذا تماماً هو ما قصده سليمان عندما قال: "فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ" (أم ٤: ٢٣). فيجب أن نراقب كل ما يدخل إلى قلوبنا بنفس اليقظة والانتباه اللذين بهما يراقب الحارس تلك البحيرة ليضمن عدم إلقاء أي شيء سام أو غير طاهر فيها. عندما كنا أطفالاً صغاراً تعلمنا أن بعض الأشياء سامة ومضرة بنا. عندما كنت ولداً صغيراً رأيت في حديقة البيت حشرة براقة تطن حول زهرة، ثم استقرت فوق الزهرة، فمددت يدي وأمسكت بها. وفجأة أحسست بألم شديد في يدي فألقيت بالحشرة بعيداً وأسرعت أجري إلى داخل المنزل. فأخبرتني أمي أن نحلة قد لسعتني، ووضعت شيئاً ما على مكان اللسعة لتخرج السم. هذا نوع من أنواع السموم.

وفي بعض القرى يوجد نبات ينمو بالقرب من الجدران والأسوار ينبغي علينا ألا نلمسه، فإن لمسته ففي غضون أيام قليلة سوف تجد أن يدك قد تورمت، وعندئذ تبدأ المتاعب، هذا نوع آخر من أنواع السموم. وكلنا نذكر أيضاً أننا عندما كنا أطفالاً أخبرنا والدونا أننا لا ينبغي أن نقترب من بعض زجاجات الدواء في صيدلية المنزل. لأنها سامة وقد تضرنا. وهكذا نتعلم أنه توجد بعض الأشياء في العالم لا يجب أن نمسكها بأيدينا، أو نلمسها، أو نشربها لأنها سامة. لكن هناك شيئاً آخر على نفس الدرجة من الأهمية ويجب علينا أن نتذكره جيداً. فتوجد أشياء في الحياة يجب ألا نسمح لها أن تدخل قلوبنا أو عقولنا.

بعض الكتب أو القصص البذيئة، أو بعض الصور الخليعة قد تسمم عقولنا تماماً كما تفعل السموم بأجسادنا. مرات نجد أولاداً قد تسممت عقولهم بما سمحوا له أن يدخل فيها. والعقل المسمم أسوأ بكثير من الجسد المسمم. ولهذا فقد أوصينا أن نحفظ قلوبنا بكل حرص. نستطيع أن نحفظ قلوبنا أو عقولنا بألا نسمح لأي شيء غير نقي أو غير طاهر أن يدخلها. فإن هاجمتنا الأفكار الشريرة فعلينا أن نطردها بعيداً. قد لا نستطيع أن نمنعها من أن تراودنا أحياناً، لكننا نستطيع أن نمنعها من أن تستقر في قلوبنا.

نستطيع أن نملأ عقولنا بأفكار صالحة ونقية، بأن نقرأ ما هو صالح ونقي، وبأن ننظر إلى ما هو صالح ونقي، وبأن نختار من الرفقاء والأصدقاء من هو صالح ونقي. إن ملأنا عقولنا بما هو مقدس وطاهر فلن تجد الأفكار الشريرة مستقراً فيها. علينا أن نجتهد بكل قوة لنحفظ أفكارنا طاهرة، لأن الشخصية القوية لا يمكن أن تنبت إلا من القلب النقي. قد تطير فراشة بسرعة إلى مصباح متقد فيحترق جناحاها، وعندما تسقط على الأرض نتيجة لغبائها قد تفكر في نفسها كيف أنه كان من الأفضل لها جداً أن تفكر جيداً قبل أن تقترب من المصباح. وهذه هي المشكلة الكبرى بالنسبة لكثيرين من الأولاد والبنات، فعندما تسمم الشرور أفكارهم يبدأون في التفكير! ربما كان من الأفضل لهم جداً أن يبدأوا يفكرون قبل أن تسمم الشرور عقولهم. " فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ".

(٢٩)
الطمــع

"انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ" (لو ١٢: ١٥)

الطمع هو اشتهاء شيء يملكه شخص آخر. توجد بعض خطايا يجب على الرجال والنساء أن يأخذوا حذرهم منها، وخطايا أخرى ينبغي على الأولاد والبنات أن يتجنبوها، لكن توجد خطية كلنا نحتاج أن نحفظ أنفسنا منها، وهذه هي خطية الطمع. إنها تبدو كما لو كانت خطية صغيرة جداً، وهذا هو سر خطورتها. أنتم تعرفون عود الثقاب وكم هو صغير، أصغر من نصف أصبعك الخنصر الأخير، وعندما تشعله تنتج عنه نار ضئيلة جداً، لكن نار عود الثقاب الصغيرة قد تحرق بيتاً بأكمله إن لم نأخذ حذرنا منها. وهذا هو ما يحدث بالنسبة للطمع. أنه يبدو وكأنه خطية صغيرة جداً، لكنها تجر إلى خطايا أخرى أكبر، ولهذا حذرنا يسوع منها. سوف أحدثكم بقصة رجل طماع، قصة كتبها كاتب روسي عظيم اسمه تولستوي. مرة كان هناك رجل روسي فقير اسمه باخوم. كان فقيراً جداً، مثل غالبية الروس، لكن كانت تسيطر عليه شهوة امتلاك قطعة من الأرض. فيا للأمور العظمى التي يستطيع أن يفعلها إن كان يملك مزرعة صغيرة! وفي يوم من الأيام بدأت السيدة الغنية التي تمتلك غالبية القرية تبيع أراضيها، فذهب إليها وطلب منها أن يشتري خمسين فداناً، على أن يدفع نصف الثمن فوراً والباقي على سنتين. فباعته خمسين فداناً، وفي نهاية السنتين كان قد سدد ثمنها بالكامل، لكنه لم يكن سعيداً! فابتدأ يفكر أنه يستطيع أن يصبح في حال أفضل بكثير لو استطاع أن يمتلك ضعف ما لديه من أرض. ويوماً ما سمع أنه بالقرب من نهر الفولجا توجد أراضي رخيصة، وأنه إن باع قطعة

الأرض التي يملكها يستطيع أن يشتري بثمنها أكثر من ضعف ما يملك. وهكذا انتقل إلى جوار نهر الفولجا وأصبح يملك مائة وثلاثين فداناً. ربما تظنون أنه قد أصبح سعيداً بعد أن امتلك كل تلك الأرض، لكن الواقع أنه لم يكن كذلك، فقد كان يتطلع إلى أن يملك أرضاً أكبر. وذات يوم مر به رجل رحالة أخبره أنه في احدى المقاطعات على بعد ثلاثمائة ميل يستطيع بألف روبل فقط أن يشتري من الأرض ما يرغب. كان الرجل يملك مزرعة جميلة، وبيتاً جميلاً. لكنه كان يفكر كل الوقت أنه يريد أن يمتلك أرضاً أكبر. وهكذا باع مزرعته بألف روبل وسافر مسافة ثلاثمائة ميل ليقابل حاكم تلك المقاطعة. وكان الأمر حقيقة، فقد أخبره بأنه بألف روبل يستطيع أن يمتلك قطعة الأرض التي يستطيع أن يمشي حولها من طلوع الشمس حتى غروبها.

وفي صباح اليوم التالي استيقظ مبكراً وبدأ مع شروق الشمس يمشي بأسرع ما يستطيع. رأى أمامه غابة جميلة، وقال في نفسه: "سوف أمشي حولها فتصبح ملكاً لي". ثم بحيرة رائعة فقال في نفسه: "وسوف أمتلك هذه البحيرة أيضاً". واستمر في السير بسرعة، ثم رفع عينيه إلى فوق وإذا باشمس قد تجاوزت وقت الظهيرة، وكان عليه أن يرجع إلى حيثما بدأ مع غروب الشمس ، و إلا فقد الكل، ولذلك فابتدأ يمشي بأقصى سرعة يقوى عليها، لكن الشمس استمرت في الانحدار إلى الغروب. فابتدأ يجري أسرع فأسرع، فقد أوشكت الشمس أن تغرب. كان قد بقى عليه أن يقطع مسافة قصيرة، فيصبح الكل ملكاً له. وفي تلك اللحظة بدأ يحس بألم شديد في جنبه بسبب شدة الجري. وأخيراً، بينما الشمس

تغرب وصل إلى حيث كان حاكم المقاطعة يقف في انتظاره، وبينما هو يغالب نفسه ليصل إليه وقع على الأرض ميتاً!

لقد حصل على كل الأرض التي اشتهاها، لكنه قتل نفسه في سبيل ذلك. هذا هو مصير كل إنسان طماع. أنه لا يحس أبداً بالسعادة مهما امتلك، ومهما امتلك فلن يمتلك حقاً سوى المكان الذي يدفن فيه عندما يموت. وهناك ما هو أفضل كثيراً من الطمع. فالولد الطماع هو ذاك الذي يفكر كل الوقت في الأشياء التي يستطيع أن يأخذها من الآخرين، أما الولد القانع السعيد فهو ذاك الذي يفكر كل الوقت فيما يستطيع أن يقدمه للآخرين. لا تفكروا كثيراً فيما تستطيعون أن تحصلوا عليه، بل بالأحرى فيما تستطيعون أن تقدموه لغيركم، فهذا هو سر الغنى الحقيقي الذي لا يعرفه العالم.

(٣٠)

النمـــو

"وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ" (لو ٢: ٥٢)

كلنا رأينا شجرة تنمو، فهي تنمو في ثلاثة اتجاهات. فهي أولاً ترتفع إلى أعلى، وبينما هي ترتفع فإن جذورها تتعمق في الأرض. وإن لم تتعمق الجذور إلى أسفل فإن أول عاصفة تحدث تقتلع الشجرة وتلقى بها بعيداً. لكن ليس هذا هو كل شيء، فالشجرة في نموها تكبر وتمد أغصانها هنا وهناك فتصبح ذات ظل ظليل. وبالمثل فإن كل ولد أو بنت ينمو في ثلاثة اتجاهات. وآيتنا تخبرنا أن يسوع كان ينمو في الحكمة، والقامة، والنعمة عند الله والناس. إذاً فهناك ثلاثة اتجاهات يجب على كل ولد أن

ينمو فيها. فأولاً يجب أن تنمو في القامة. أغلبكم توجد لديه في البيت علامة صغيرة على الحائط، تبين طوله في آخر عيد ميلاد مر به، وعندما يحل عيد الميلاد التالي فسوف تقف هناك ويضع والدك علامة جديدة على الحائط لهذه السنة، تبين كم نموت خلال السنة التي انقضت. وهكذا فإن جميعكم تنمون في القامة من سنة إلى سنة. والعادات الرديئة تعوق نمونا، والعشرة الرديئة تفعل نفس الشيء. فيجب أن نحترس أن نتجنب هذه الأمور حتى ننمو نمواً طبيعياً. ثم هناك اتجاه آخر لنمونا، فيجب أن ننمو في الحكمة. فنحن لسنا نملك الجسد فقط بل العقل أيضاً، وليس بالأمر الحسن أن تنمو أجسادنا فقط بينما تبقى عقولنا كما هي. فالرجل ذو الجسم الضخم والعقل الصغير هو إنسان مسكين بحق. مرة كنت أسير في الشارع فأتاني رجل ليتحدث إلىّ. كان إنساناً ضخماً، أكبر وأطول مني، وكانت معه ورقة صغير في يده، أعطاني إياها وطلب مني أن أقرأ له ما بها. فابتدأت أحس بالأسف الشديد لأجله، فقد ظننته فاقد البصر، لكني لما تطلعت إليه وجدته يستطيع أن يبصر كما أنا تماماً. لكن ما حدث منذ سنوات كثيرة، عندما كان جسم هذا الرجل ينمو أكبر وأكبر، فقد كان يجب عليه أن يذهب إلى المدرسة حتى ينمو عقله بنفس الكيفية، إلا أنه كان يلعب هنا وهناك ويضيع الوقت. لكنه الآن أصبح رجلاً كبيراً ذا قدر من العلم والمعرفة أقل مما لدى أصغر الأولاد في مدارس الأحد. هل رأيت قزماً أبداً؟ إنه إنسان ذو جسم صغير جداً. لكن يوجد البعض أقزاماً في عقولهم، فعقولهم لم تنم منذ أن كانوا أطفالاً صغاراً.

وهناك جزء ثالث منا ينبغي أن ينمو أيضاً، ذلك هو أنفسنا. لقد قيل عن يسوع أنه كان ينمو في النعمة عند الله، وهذا يعني أنه بينما كان جسمه يكبر، وبينما كانت مداركه وقواه العقلية تنمو، فإن نفسه أيضاً كانت تنمو كل الوقت. والنفس هي أفضل وأهم جزء في الإنسان، إنها الجزء الذي لا يموت. فروح الإنسان سوف تحيا إلى الأبد. لذلك فإنه ينبغي علينا أن نعتني بأنفسنا وأرواحنا أفضل عناية ممكنة، وأن نتأكد من أنها تنمو نمواً مستمراً يوماً بعد الآخر. وإن كان العمل والطعام يجعلان الجسم ينمو، وإن كانت الدراسة تجعل العقل ينمو، فإن الكتاب المقدس والصلاة يجعلان النفس تنمو. منذ فترة قصيرة كان أحدهم يحدثني عن إنسان له "نفس صغيرة وفقيرة". هل تعلمون ماذا كانت مشكلة ذلك الإنسان؟ لقد اهتم والداه بنموه الجسدي، وأرسلاه إلى المدرسة والجامعة ليضمنا نموه العقلي، لكنهما لم يفكرا أبداً في روحه. والآن يصفه الناس بهذا الوصف، أن له "نفساً صغيرة وفقيرة". لقد حدثتكم عن العلامات الصغيرة على حائط المنزل التي تعرفنا بمقدار نمونا من سنة إلى أخرى، وأن نظرنا إلى الكتب المدرسية التي استوعبناها نستطيع أن نعرف مقدار نمو عقولنا، فهل تعرفون أن الله يقيس أيضاً نمو أرواحنا؟ لن يفيدنا أن ننمو في الحكمة والقامة فقط، بل يجب بالأحرى أن ننمو في النعمة أيضاً. نحن بحاجة إلى أجسام قوية، وإلى عقول سليمة وصحيحة، لكننا نحتاج فوق الكل إلى أرواح ونفوس كبيرة.

(٣١)

فليضئ نوركم
"فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ" (مت ٥: ١٦)

حدثتنا احدى الصحف عن الرجل الذي لمدة أربعين سنة كان يسجل حالة الشمس كل يوم، كم يوم كانت مشرقة، وكم يوم حجبتها الغيوم، وكم كان عدد الأيام الممطرة... وتوجد آلة مسلية جداً تسجل عدد ساعات شروق الشمس، فيها قطعة من الزجاج تدور مع دوران الأرض، وتحتها توجد قطعة من الورق، فمتى أشرقت الشمس تنعكس من خلال قطعة الزجاج فتحدث حرقاً صغيراً أو علامة على قطعة الورق. ويتم تغيير قطعة الورق هذه كل مساء بأخرى تستخدم لليوم التالي. وهكذا يتم تسجيل حالة الشمس يوماً بعد الآخر، وبعد عدة سنوات يستطيعون بالرجوع إلى هذه الأوراق معرفة زمن إشراق الشمس كل يوم. وفي الآية التي أمامنا يطلب منا أن ندع نورنا يضئ، وسوف أحاول أن أخبركم المعنى المقصود بهذه الوصية. أنها تعني أنه ينبغي علينا أن نكون أنواراً مضيئة أينما نذهب. هناك أناس في هذه الحياة نستطيع أن نصفهم بأنهم مضيئون. أينما يوجدون يصاحب وجودهم الاشراق والابتهاج. وآخرون دائماً مكتئبون، عندما يدخلون حجرة ما يخيل إليك وكأن النور الذي فيها قد نقص عما كان قبل دخولهم إليها.

وهنا يطلب منا يسوع أن ندع أنوارنا تضئ، أن نجعلها أكثر إشراقاً ولمعاناً حيثما نذهب. وكما تقوم تلك الآلة التي حدثتكم عنها بتسجيل زمن إشراق الشمس كل يوم، فإن يسوع يحفظ سجلاً لساعات إشراق نورنا للآخرين كل يوم. توجد قصة عن سيدة فقيرة في لندن أخبروها يوماً ما بأن أحد أقربائها قد مات

وترك لها مبلغاً من المال يعينها على الحياة الطيبة ما بقى من عمرها. لقد كانت فقيرة جداً طوال حياتها، وما أكثر الأيام التي قضتها بغير أن يكون لها طعام تقتات به، فماذا تظنون أول فكر راودها؟ هل الوقت الطيب الذي سوف تتمتع به بعد أن أصبح لها كل ذلك المال؟ كلا. إن أول ما فكرت فيه كان مقدار الخير الذي سوف تستطيع أن تفعله. فذهبت وأحضرت سيدة أخرى فقيرة كانت تعمل في قبو وأخذتها إلى الريف في أجازة لمدة شهر حصلت فيه على قسط وافر من الراحة والتغذية وعادت بعده قوية ونشيطة. ثم فكرت في أمر آخر تستطيع أن تفعله لتسعد شخصاً آخر.. وهكذا قضت أيامها يوماً بعد يوم. وفي نهاية كل يوم كان ملاك في السماء يسجل أن نور هذه السيدة قد أضاء ليوم آخر. وفي فترة مضت كان البعض يظنون أن النبلاء هم أولئك الذين يولدون من أصل نبيل أو في عائلة من العائلات الملكية، لكن هذا الفكر قد تغير الآن. فالنبلاء الآن هم أولئك الذين يتحلون بالأخلاق النبيلة ويعيشون الحياة السامية، فيشرقون بنورهم على الآخرين. عندما تضحي فتاة بأجازتها الصيفية وتقضيها في المنزل تساعد والدتها المتعبة، فإن نورها يضئ. وعندما يحاول بعض الأولاد أن يغووا زميلاً لهم ليفعل أمراً شريراً، فيرفض أن ينقاد لغوايتهم ولا يفعل الشر، فهو يدع نوره يضئ. وفي كل يوم تفتح سجلات السماء لتسجل حالة كل ولد أو بنت في ذلك اليوم، ترى ماذا كان؟ هل كان يوماً مضيئاً أم كئيباً؟

(٣٢)
ما أريد أن أفعله

وما يجب أن أفعله

مرات يوجد فرق كبير بين ما نريد أن نفعله، وبين ما يجب أن أفعله. ومن الأقوال الشائعة أن الأولاد الأشرار يفعلون ما يريدون، وأن الأولاد الصالحين يفعلون ما يجب عليهم فعله. توجد قصة خرافية قديمة عن فرسان الصليب الذين كانوا يعيشون في جزيرة مالطة منذ مئات السنين. تقول القصة أن تنيناً مريعاً كان يعيش في الجزيرة، وكان يأكل الأطفال والنساء، والجميع كانوا يخافون منه. وكثيرون من الجنود حاولوا قتله لكن لم يرجع أي منهم حياً. وكل أولئك الشجعان الذين تطوعوا لقتل هذا التنين الشرير وتخليص الجزيرة منه ماتوا الواحد بعد الآخر، وفي الآخر أمر قائد الفرسان ألا يحاول أي منهم فيما بعد قتل التنين محافظة على أرواحهم، فلم تكن هناك فائدة ترجى من إضاعة أرواح عدد آخر من الناس. لكن يوماً ما انضم فارس جديد شاب إلى فرسان الصليب. سمع هذا الفارس الشاب عن التنين، وفكر في نفسه أنه سيكون من الأعمال العظيمة أن يذهب ويقتل التنين بغير أن يخبر أحداً، إلا بعد أن يقتله فعلاً. فتقلد سيفه وخرج خارج أسوار المدينة، وفتش عن التنين حتى وجده، ودارت بينهما معركة رهيبة انتهت بأن تمكن الفارس فعلاً من قتل التنين. ثم رجع إلى المدينة وأخبر الناس بما حدث ففرحوا جداً وهللوا وابتهجوا، وخرجوا في موكب كبير ليخبروا قائد الفرسان بالخبر المفرح. وعندما سمع القائد بالخبر سأل هذا السؤال: "ما هو أول مبدأ في نظام فروسيتنا؟"، فأجابه الفارس الشاب: "أنه الطاعة يا سيدي". فقال القائد: "لقد تلقيت الأمر ألا تحارب التنين، لكنك لم تطعه، وكل من لا

يطيع ليس من حقه أن يتحلى بصليب الفروسية. انزع الصليب من على صدرك، فإنك لا تقدر فيما بعد أن تكون فارساً". فنزع الشاب الصليب ومضي بغير أن ينطق بكلمة واحدة.

وبعد فترة أرسل القائد واستدعاه، وقال له"لقد انتصرت باطاعتك لأمري لك بنزع الصليب عن صدرك انتصاراً أعظم من إنتصارك على التنين، ولذلك فإني أعيد الصليب لك مرة أخرى". وبذلك أصبح الشاب فارساً عظيماً، وعندما مات القائد حل هو مكانه في قيادة فرسان الصليب. هذه الأسطورة تعلمنا أنه توجد أمور تبدو مستقيمة نود لو نفعلها، لكن لو كان الله قد أمرنا، أو لو كان والدانا قد أمرانا ألا نفعلها، فيجب أن نطيع. والآن، كيف نستطيع أن نعرف ما يجب علينا أن نفعله؟ توجد عدة طرق: فأولاً هناك ذلك الصوت الخفيض في دواخلنا الذي اسمه الضمير. أنه تقريباً في كل الأحوال يحذرنا مما لا ينبغي أن نفعله. عندما يخبرك ضميرك أن أمراً ما يحمل في طياته خطية فيجب أن تتأكد ألا تفعل هذا الأمر، لأن الضمير هو في الواقع صوت الله.

وأيضاً هناك الكتاب المقدس، الذي يعرفنا بواجباتنا – فإن كنا نقرأ كتابنا المقدس ونحاول أن نعمل بمقتضاه فلن يكون من العسير علينا أن نعرف ما يجب علينا أن نفعله. وهناك آباؤنا، فإن كانوا مؤمنين حقيقيين فسوف يعلموننا ما يجب علينا أن نفعله. وليس من السهل دائماً أن نفعل ما هو صواب. قيل عن أحد العسكريين العظماء الذين عرفتهم الأرض، وهو فريدريك الكبير، أنه عندما كان جندياً شاباً يشارك في أول معركة له انتابه خوف شديد جداً لدرجة أنه أدار جواده إلى الخلف وجرى

بعيداً عن أرض المعركة بأسرع ما يستطيع. لكنه لم يكرر هذه الفعلة مرة أخرى، واصبح في يوم من الأيام أشجع مقاتل في كل أوربا. ربما يكون الأمر صعباً في أوله، لكن إن كنا نستمر نحاول كما فعل الملك فريدريك الكبير، فسوف نجد أنه في إمكاننا أن نفعل ما يجب علينا أن نفعله. كثيراً ما نستعمل كلمة "واجب"، وبصفة خاصة في حياتنا المدرسية. والواجب معناه أن نفعل ما يجب علينا أن نفعله. في قلب مدينة لندن يوجد تمثال لواحد من أشهر أبطال انجلترا، هو اللورد نلسون. ومنذ أكثر من مائة سنة كان اللورد نلسون قائداً للبحرية الانجليزية، وأعظم معاركه هي معركة ترافلجر. وقبيل بدء المعركة أرسل إشارة من سفينة القيادة إلى كل سفن الأسطول تقول: "إن انجلترا تتوقع أن يقوم كل رجل بواجبه" فكان يوم انتصار عظيم. إن يسوع ينتظر أن يقوم كل ولد أو بنت بواجبه. أن يفعلوا ليس ما يريدون، بل ما يجب عليهم أن يفعلوه. وعندئذ سوف يتمتعون هم أيضاً بالنصرة.

(٣٣)

رسالة بولس للأولاد

"الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ " (أف ٦: ١١)

هل تعلمون أن أحد أسفار الكتاب المقدس به صفحة للأولاد؟ أنه الرسالة إلى أهل أفسس. في الأصحاح الأخير من هذه الرسالة خصص بولس صفحة للأولاد. ودعوني أخبركم كيف فعل هذا. في أيام بولس الأخيرة كان سجيناً في روما. لقد وضعوه في السجن، ليس لأنه كان قد ارتكب جرماً ما، بل لأنه

كان مسيحياً، وكان المسيحيون مكروهين. وكان معه في السجن حارس يحرسه حتى لا يهرب. وفي أحد الأيام قرر بولس أن يرسل خطاباً إلى أصدقائه القدامى في مدينة أفسس، فبدأ يكتب الخطاب من غرفته في السجن، والحارس يراقبه. وبعدما كتب عدة صفحات وأراد أن يوقعها بإمضائه قال في نفسه: "يجب أن أكتب شيئاً لأطفال أفسس، فهم سيصبحون رجالاً ونساء يوماً ما، ولذلك فلا ينبغي أن أنساهم". وابتدأ بولس يفكر: "ماذا أكتب لهؤلاء الأولاد؟ أنني لا أستطيع أن أكتب لهم عن الأمور التي كتبت عنها لأبائهم وأمهاتهم، فلن يفهموها". ولذا ابتدأ يدور ببصره في الحجرة كما نفعل أحياناً عندما تأبى عقولنا أن تفكر بالسرعة الواجبة. وعندئذ لاحظ الحارس هناك، فقال لنفسه: "سوف أحدثهم عن السلاح الذي يلبسه الجندي. أنني واثق أنه موضوع شيق بالنسبة لهم". دعونا نرجع إذاً إلى ما كتبه بولس إلى الأولاد في أفسس عن سلاح الجندي في تلك الأيام. فالجنود حينئذ كانوا يلبسون دروعاً تقيهم من الرمال والسهام وسيوف الأعداء. ولم يكن ممكناً أن يحرزوا أية نصرة بغير هذه الأسلحة.

لكن أحد الأولاد قد يقول لي: "لماذا نحتاج نحن إلى أسلحة؟ فنحن لا نحارب أية معارك في هذه الأيام" وفي الواقع هناك معارك علينا أن نحاربها في أيامنا هذه، فيقول بولس: "الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ " (أف ٦: ١١). فإبليس هو عدونا الأول، وهو يسعى بكل قوته أن يهزمنا، وأن يرغمنا على فعل الشر. ويمتلك إبليس الكثير من الحيل والمكائد، التي يستخدمها في جهوده لإسقاطنا في

الخطية. هناك قصة عن بعض الجنود، أثناء حرب اليهود في أمريكا، أقاموا معسكراً لهم في احدي الليالي في قرية من قرى الهنود. وأقاموا حراساً للحراسة أثناء الليل. وفي الصباح التالي وجدوا أحد الحراس مقتولاً، بينما بقية الحراس لم يسمع أحد منهم صوتاً، أو يرى شيئاً. وفي الليلة التالية وضعوا حارساً آخر في نفس نقطة الحراسة، وفي الصباح وجدوه هو أيضاً ميتاً. فاستدعى القائد جندياً من أفضل جنوده وقال له: "أريدك أن تأخذ ذلك المكان الليلة، ولا تدع شيئاً يفوتك، فإن رأيت أي شيء يتحرك فأطلق عليه النار على الفور". وعندما حل الليل ذهب الجندي إلى نقطة الحراسة عينها. ولعدة ساعات لم يحدث شيء. ثم خيل إليه أنه سمع صوتاً ما، أو أن شيئاً ما يتحرك فوق أوراق الشجر الجافة المتساقطة على الأرض. فنادى بصوت عال: "من هناك؟". فلم يجب أحد. وساد السكون تماماً حتى خيل إليه أنه كان واهماً. وفجأة رأى شيئاً يتحرك، وبينما هو يتهيأ لإطلاق النار عليه اكتشف أنه كلب يتسلل بين الشجيرات. فوضع بندقيته جانباً معتقداً أنه من الغباء أن يخاف من كلب. ثم تذكر أمر قائده له أن يطلق النار على أي شيء يتحرك، فأمسك ببندقيته مرة أخرى وأطلق النار على الكلب، فسقط على الأرض. وعندما أسرع إلى حيثما سقط الكلب، وجد جلد كلب وبداخله أحد الهنود. وفي كل ليلة كان هذا الهندي يتسلل مرتدياً جلد كلب ويقتل الحارس قبل أن يكتشف حقيقة أمره، وينتبه لخطورته.

كان هذا الهندي بارع الحيلة، أليس كذلك؟. لكن بولس يوصينا أن نتحذر من مكايد إبليس. أنه يشبه ذلك الهندي. أنه

يأتينا في هيئة تجعلنا نظن أنه مأمون الجانب ولا خوف منه، ولا ضرر من إطاعته. وعندما نتركه يقترب منا يقتنصنا لإرادته. ولهذا أوصانا بولس أن نتسلح دائماً بسلاح الله الكامل.

(٣٤)
السلاح الكامل
"الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ" (أف ٦: ١١)

مم يتكون ذاك السلاح الذي حدثنا عنه بولس، هناك الخوذة، والدرع، والترس، والأحذية... هل لاحظتم شيئاً غريباً بالنسبة لهذا السلاح؟ أنه لا يشتمل على أي شيء لحماية الظهر. ترى هل حدث هذا سهواً؟ هل تظنون أن بولس قد نسى أمر حماية ظهر الجندي؟ كلا، أنه لم ينس، فلا يوجد سلاح يحمي الظهر. فالنوع الوحيد من الجنود الذي يصاب في ظهره هو النوع الجبان الذي يهرب من المعركة. منذ زمن بعيد، في بلاد اليونان، حمل جندي شاب جريح من ميدان المعركة إلى بيته، وعندما وصل إلى البيت كان أول ما اهتمت أمه بأن تعرفه عن ابنها الجريح هو ما إذا كانت هناك جروح في ظهره أم لا. فإن كان قد جرح في ظهره فهي تعلم على الفور أنه أعطى ظهره للأعداء وهرب، وهذا يجعلها تحزن وتتأسف أكثر من حزنها وأسفها على إصابة ابنها.

والله لا يعطينا أي سلاح لحماية ظهورنا. أنه يريدنا أن نقف ضد الشر بشجاعة وبدون خوف. وبولس يوصينا أن نلبس السلاح الكامل. لن نستفيد شيئاً إن كنا نلبس قطعة من قطع السلاح ونترك الباقي. فيجب أن نلبس السلاح الكامل. وإن لم

نفعل ذلك، فسوف يضربنا الشيطان في نقطة الضعف فينا. عندما يأتي الليل فإننا نحكم إغلاق بيوتنا حتى لا نعطي فرصة للصوص. ربما سمعت والدك وهو يجول في البيت بالليل، قبل أن يذهب إلى الفراش، ليتأكد من إغلاق كل النوافذ والأبواب. فإن أغفل شباكاً صغيراً واحداً، فلن يفيد على الاطلاق كونه قد احكم إغلاق باقي النوافذ والأبواب جيداً، فإن اللص يكفيه هذا الشباك الصغير ليتسلل منه إلى البيت.

مرة سمعت عن شخص فعل ما يشبه ذلك. كان يحتفظ في مزرعته بحصان من أجود سلالات الخيل، وفي كل ليلة كان يغلق أبواب الاسطبل جيداً حتى لا يعطي فرصة للصوص. كان للاسطبل ثلاثة أبواب، باب كبير في الواجهة، وآخر صغير جانبي، وثالث في الخلف. وفي احدى الليالي أغلق الباب الكبير الذي في الأمام والآخر الجانبي الصغير، لكنه كان في عجلة فقال في نفسه: "لا داعي لغلق الباب الخلفي الليلة، فمن غير المحتمل أن أحداً ما يفكر في المرور من هناك". لكن في نفس تلك الليلة جاء لص، وحاول فتح الباب الأمامي فوجده مغلقاً جيداً، فاتجه إلى الباب الجانبي فوجده هو الآخر مغلقاً. فلف دائراً حول المبنى إلى الباب الخلفي، ومنه دخل إلى الاسطبل وسرق الحصان. لقد ترك الرجل باباً واحداً مفتوحاً، ومن هذا الباب دخل اللص. ألا ترون الآن لماذا يوصينا الله أن نلبس السلاح كاملاً؟ فإن تركنا نقطة صغيرة بغير حماية فإن الشيطان يدخل منها ليفسد حياتنا كلها. أخبرني أحد المدرسين بقصة عن فتاة صغيرة، فقال: "أنها طفلة ممتازة جداً من عدة جوانب. فهي ذكية، ونظيفة، ومرتبة، وطيبة، لكن

عيبها أننا لا نستطيع أن نثق فيما تقوله". هنا نجد طفلة قد تسلحت بكل الأسلحة، ماعدا منطقة الحق، وقد استغل الشيطان ذلك بأن جعل منها طفلة كذابة. وما أكثر الأولاد الممتازين الذين تعرفونهم، كان في الامكان أن يحبهم الجميع لولا طبعهم الحاد! ترى ما هي حقيقة أمر هؤلاء؟ لقد نسوا أن يحتذوا باستعداد إنجيل السلام. هناك أسطورة عن بطل إغريقي اسمه اشيلاس. كان محارباً عظيماً، لا تستطيع الحراب والسهام والسيوف أن تمسه، ولعدة سنوات عاش حياة متميزة قوية. لكن كانت هناك نقطة ضعيفة واحدة في جسمه، هي كعباه، ولقد اكتشف أعداؤه ذلك، فصوب احدهم سهماً مسموماً إلى كعبه، فأصابه وقتله. إن الشيطان يعرف نقطة الضعف في كل واحد منا. وعندما ننسى أن نلبس أحد قطع السلاح فهو يعرف ذلك، ومن هذه النقطة يبدأ بمهاجمتنا. لذلك يجب علينا أن نلبس سلاحنا بالكامل.

(٣٥)

منطقة الحق

"فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ" (أف ٦: ١٤)

قبل أن نتأمل في "منطقة الحق"، هناك أمر هام يجب ألا ننساه فيما يتعلق بسلاح الله الكامل. فيجب علينا أن نلبس هذا السلاح كل الوقت. في الأيام الباردة، عندما ندخل بيوتنا فإننا نخلع معاطفنا لأننا لا نحتاج إليها هناك. وعندما نتهيأ للنوم فإننا نخلع الملابس التي كنا نرتديها أثناء اليوم. لكننا لا يجب أبداً أن نخلع هذا السلاح في أي وقت. يقال عن أحد أبطال التاريخ المشهورين، وهو أوليفر كروميل، أنه لم يكن يخلع

سلاحه أبداً، نهاراً أو ليلاً. وكان يقول أنه لا يعرف متى سوف يهاجمه العدو، لكنه يريد أن يكون مستعداً لملاقاته في أي وقت، ونحن أيضاً لا نعرف متى سوف يهاجمنا الشيطان، لذلك فيجب علينا ألا نخلع سلاحنا بالنهار أو بالليل.

والآن دعونا نتأمل في مختلف قطع السلاح. لقد حدثنا بولس عن المنطقة، والدرع، والأحذية، والترس، والخوذة، والسيف. وكنا نظن أن بولس سوف يحدثنا أولاً عن الخوذة التي تغطي الرأس وتوفر الحماية للمخ، أو الدرع الذي يحمي القلب. لكن كلا، فإن بولس يبدأ حديثه بمنطقة الحق، فهذه هي أول وأهم قطع السلاح. فكل أجزاء السلاح الأخرى تعتمد بكيفية ما على المنطقة. فالدرع يثبت فيها من الأمام، والأحذية تربط فيها من أسفل، وعلى أحد جانبيها يوجد مكان خاص لحمل السيف، ومن الخلف يوجد فيها مكان خاص لتثبيت الترس عندما لا يكون الجندي بحاجة إليه. وعندما نتعمق في التفكير فإننا سوف نجد أن المنطقة هي أهم قطع السلاح على الاطلاق.

ولذلك يوصينا بولس أنه يجب علينا أول كل شيء، وقبل كل شيء، أن نمنطق احقاءنا بالحق. هذا هو أول ما نحاول معرفته عن أي إنسان. هل هو ولد صادق؟ وهل هي بنت تتحدث دائماً بالحق؟ مرة سمعت رجلاً من خبراء التربية يقول أنه ليس أمراً مهماً أن يكون الطفل جاهلاً، أو أن تكون أخلاقه رديئة، فإنه يستطيع أن يتعلم، وأن يكتسب أخلاقاً حسنة. أما الطفل الكذاب فلا أمل في إصلاحه، فلا يوجد فيه ما يمكن أن نؤسس عليه شخصية صالحة. أنه مثل البيت المؤسس على الرمال، الذي لا يقدر أن يثبت. إذاً عليكم، أيها الأولاد والبنات، قبل أن

تخرجوا إلى معركة الحياة، أن تتأكدوا أنكم تسلحتم بمنطقة الحق. كل كذبة، تعتبر غير ضرورية، وخطرة. بعض الأولاد والبنات قد يكذبون "لمجرد المرح" كما يقولون. أنهم لا يقصدون شراً. مرة سمعت بنتاً صغيرة تقول للبنت التي كانت تلعب معها: "أن أمك تدعوك". ولما ذهبت إلى أمها وجدت أنها لم تدعها على الاطلاق. لقد قصدت تلك البنت أن تضحك مع زميلتها، ولم تكن تفكر أنها بذلك قد جعلت من نفسها بنتاً كذابة.

هل صادفتم أبداً تفاحة جميلة من الخارج لكن عندما تقطع نجدها فاسدة من الداخل؟ إن بعض الكذب مثل هذه التفاحة تماماً. أنها تبدو من خارج بسيطة وغير ضارة، إلى أن نتعمق في التفكير فيها فنجدها رديئة ككل أنواع الكذب الأخرى. لذلك ينبغي علينا أن نتسلح دائماً بمنطقة الحق، فلا يستطيع الشيطان أن يؤذينا. منذ أمد بعيد كان لدى قدامى الفرس قانون بموجبه يمنعون من الكلام كل من يكذب ثلاث مرات. وإن كان هذا القانون سارياً في أيامنا هذه فإن عدداً كبيراً منا لن يستطيعوا الكلام. أليس كذلك؟ لا تنسوا منطقة الحق. هناك تعبير يذكره الكتاب المقدس عدة مرات: وهو "يتمنطق". وهو يعني أن يحكم الشخص تثبيت المنطقة حول حقويه. فقبل أن يقدم الشخص على الجري في مسابقة للجري، أو على الاشتراك في معركة ما، أو على البدء في عمل شاق، يجب عليه أن يحكم ربط حزامه حول وسطه. والآن، وأنتم مازلتم في مقتبل الحياة، يجب عليكم أن تتمسكوا بالحق، وألا تتكلموا إلا بالحق.

(٣٦)
درع البـر
"لاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ" (أف (٦: ١٤)

في قلعة لندن توجد قاعة شهيرة تسمى قاعة الدروع، فيها أكبر مجموعة من الدروع في العالم. هناك تجد الدروع والخوذات والسيوف والحراب التي استخدمها ملوك وأمراء في العصور السابقة. وهناك أيضاً توجد دروع للخيل. وضمن هذه المجموعة حلة أكثر جمالاً من كل الحلل الأخرى، كانت قد صنعت خصيصاً لطفل من أفراد امراء الإنجليز، ولذلك فقد زينت بالذهب والفضة. ويخبرنا بولس في الأصحاح السادس من رسالته إلى أهل أفسس عن الدروع والأسلحة التي يجب أن يرتديها كل ولد وبنت. وبعد أن تأملنا في "منطقة الحق" الآن نستطرد لنتأمل في "درع البر".

والدرع من أهم الأجزاء التي يتسلح بها الجندي، فهو يحمي القلب والرئتين، والصدر بصفة عامة. عندما كنت طفلاً صغيراً عرفت لأول مرة أن الله قد خلق الصدر قوياً بصفة خاصة، بأن أحاط القلب والرئتين بدرع من الضلوع. لكن عندما يذهب الجندي للقتال حيث يتعرض صدره للحراب والسيوف فإنه يحتاج، بالإضافة إلى الدرع الطبيعي، إلى درع آخر من الصلب يحمي صدره. وهنا يوصينا بولس أن نرتدي درع البر. لكن ما هو البر؟ أنه بكل بساطة فعل الحق. وإن كان الدرع يحمي الجندي من أن يصاب صدره، فإن درع البر، الذي هو فعل الحق، يحمينا من أن نصاب في معركة الحياة. فلا يوجد شيء في العالم يحمينا من أن نؤذى قدر فعل الحق، وربما في جميع الحالات

التي نصاب فيها بأذية ما يكون ذلك بسبب عدم تدقيقنا في فعل الحق. أننا لم نكن نرتدي درع البر.

عندما كنت ولداً صغيراً عوقبت مرة في المدرسة على فعل خاطئ ارتكبته. وقد ألمني العقاب. وعندما عدت إلى المنزل أخبرت أبي بما حدث، فقال لي: "لو كنت قد فعلت ما هو صواب ما كنت قد عوقبت". منذ فترة رأيت رجلين في الشارع كانا قد اشتركا في مشاجرة، وكان منظرهما واصابتهما وملابسهما الممزقة تثير الرثاء. لو كانا يفعلان الصواب ما تعرضا لما اصابهما. أخبرني أحد الأطباء أن غالبية الأمراض التي تصيبنا سببها أفعالنا الخاطئة. فالناس يخطئون، وبعد ذلك يقاسون نتيجة خطاياهم. لو كان الجميع يفعلون ما هو حق، وما هو صواب، ما كان العالم يعاني من الأمراض مثل ما يعاني الآن. إن أفضل وقاية من الأمراض هي فعل البر والحق. بل أكثر من هذا، فإن غالبية ما يحيرنا ويقلقنا يرجع إلى معرفتنا بأننا لم نفعل الصواب. لنتذكر دائماً ما أوصانا به بولس هنا، فإن أفضل ما يحمي العالم من الخطية والشر هو "درع البر". أن نفعل الصواب كل أيام حياتنا. فهل نفعل؟

(٣٧)

أحذية السلام

"حَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ" (أف ٦: ١٥)

حدثنا بولس عن "منطقة الحق"، و "درع البر"، والآن فإنه يأمرنا أن نلبس "أحذية السلام". وأنه ليبدو غريباً أن يأمر الجندي أن يرتدي أحذية السلام، فكل ما يرتديه – عدا هذه الأحذية – له علاقة ما بالحرب والقتال. وهو بهذا يذكرنا أن

الإنسان لا يمكن أن يصبح جندياً صالحاً ما لم يكن يتطلع – من خلال أسلحته وحربه والمعارك التي يخوضها – إلى تحقيق السلام. والآن نحاول معرفة المعنى المقصود بعبارة "أحذية السلام". فلنفترض أن أحد الأولاد غادر فراشه في صباح أحد أيام الشتاء القارسة البرودة، ونسى أن يرتدي حذاءه قبل أن يخرج في طريقه إلى المدرسة. فإن كل خطة يخطوها على الطريق البارد المبلل سوف تؤذي قدميه، وكل أوساخ الطريق سوف تعلق بها وتؤذيها، وحالاً يتملكه الضيق ويسوده التذمر والشكوى، وكل ذلك بسبب عدم إرتداء الحذاء. وبولس يوصينا أن نلبس أحذية السلام، فهي التي تحمينا من المتاعب والمضايقات، وتوفر علينا التذمر والشكوى. إنها تحفظنا من حدة الطبع، ومن الاحساس بالنفور والبغضة للآخرين. إنها تجعلنا في سلام مع أنفسنا، ومع الناس، ومع كل الأشياء والكائنات الأخرى في هذا العالم. إن أرتدينا حذاء السلام يسود أيامنا الاشراق والسرور، ونتمتع بكل مخلوقات الله وعطاياه. إن الولد الذي يرتدي أحذية السلام قبل ذهابه إلى المدرسة يستمتع بدروسه، ويحس بلطف مدرسه في معاملته له، ويستمتع بفترة اللعب مع زملائه في ملعب المدرسة، ويقضي نهاراً مشرقاً سعيداً من كل وجه. أما أن مر بهذا الولد يوم أحس فيه أن كل شيء يسير في طريق خاطئ، فوالداه لا يحبانه كما يجب، ومدرسه يقسو عليه، وزملاؤه يعاكسونه أثناء اللعب، ثم يعود إلى البيت فلا يطيع ما تقوله له أمه، فغالباً ينتهي اليوم بأن يعاقبه أبوه على عدم طاعته. ترى ما هو سبب هذا كله؟ هل أبت الشمس أن تشرق كعادتها كل صباح؟ بالطبع كلا. هل

نقصت محبة الوالدين عما كانت من قبل؟ طبعاً لا. هل كان المدرسون والزملاء غير طيبين من نحوه بعكس الأيام السابقة؟ بالطبع لا. إذاً ما هو السبب؟ إن هذا الولد لم يلبس أحذية السلام في بداية يومه، ولذلك فقد سادته المتاعب والمشاكل، وفقد سلامه وسعادته.

عندما نستيقظ من نومنا في الصباح يجب علينا أن نقول لأنفسنا: "في هذا اليوم سوف أكون في سلام مع جميع الناس". والطريق الوحيد لأن نكون في سلام مع جميع الناس هو أن نحاول بقدر إمكاننا أن نفعل الخير مع الجميع. أن نفعل أكبر قدر ممكن من الخير، مع أكبر قدر ممكن من الناس، بأكثر عدد ممكن من الطرق والوسائل. إن أعطيناك كتاباً، وطلبنا منك أن تقطع منه ورقة في كل مرة تتحدث فيها بغضب أو توجه فيها كلمة جارحة لإنسان، فكم من الوقت سوف يبقى هذا الكتاب معك؟ مع بداية كل يوم، دعونا نتذكر أن نلبس "أحذية السلام".

(٣٨)

ترس الإيمان

"حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ" (أف ٦: ١٦)

يستخدم الجندي الترس ليصد به الحراب والسهام التي يوجهها إليه الأعداء. كلنا قد رأينا الأتراس. بعضها بيضاوي الشكل، وبعضها مستدير، والبعض مستطيل أو مربع. بعضها مصنوع من النحاس، أو الخشب، أو الجلد، وأحياناً من الذهب. لقد عمل سليمان العديد من الأتراس الذهبية، تلك التي استولى عليها ملك منر بعد ما حارب أورشليم وانتصر عليها. والترس قطعة هامة جداً من سلاح الجندي. فعندما يرى سهماً

مصوباً نحوه يسرع ويرفع ترسه ليصد به السهم قبل أن يصيبه. وعندما يسدد عدو سيفه إليه يتلقى الضربة بالترس فلا تصيبه. وإن أجاد استخدام الترس فإنه يستطيع به أن يحمي جسمه كله. والجندي بغير ترس لا يستطيع أن يصمد طويلاً في ميدان القتال.

ويقول بولس أننا إن اردنا أن نكون جنودا مسيحيين صالحين فينبغي علينا أن نتسلح بترس الإيمان، فهو الذي يحمينا في ساعات الخطر. لو سألت أي ولد عن الشخص الذي يحبه أكثر من جميع الناس، فسوف يخبرني أنه أبوه. فالأب يحرص كل الحرص ألا تصيب ابنه أية أذية من أي نوع. فإن أمسك بيده سيفاً حاداً وقربه على بعد صغير جداً من ابنه، فإن الابن لا يخاف، فهو يعلم أن أباه لا يمكن اطلاقاً أن يؤذيه، ولن يتغير شعوره هذا لو كان يحتمي بترس كبير من النحاس. فبينما لا يوجد ترس مادي، لكن الولد لا يخاف، فلديه ما هو أفضل من الترس، ذلك هو ثقته في أبيه وتأكده من محبته له. وهذا هو ترس الإيمان.

لو خرج ولد في نزهة مع أبيه في ليلة حالكة الظلام، فربما لم يكن يجرؤ على الخروج في ليلة كهذه بمفرده، لكن لأنه يضع يده في يد أبيه فهو لا يخاف، لأنه يعلم أن أباه سوف يحميه من أية أذية محتملة، ومن أي خطر قد يتعرض له. إن ثقته في أبيه تقوم تماماً بدور الترس الذي نتحدث عنه. إنها تبعد من قلبه كل المخاوف. ونحن، كمسيحيين حقيقيين، نمتلك ترس الإيمان في الرب يسوع المسيح. عندما يدخل الجندي في معركة مع الأعداء فإن الترس هو الذي يتلقى عنه

ما يصوب إليه من ضربات. ودعوني أذكر لكم شيئاً عن يسوع يجب علينا ألا ننساه أبداً. لقد مات على الصليب نيابة عنا. لقد أصابته الطعنة التي كانت مصوبة إلينا. لقد صار ترساً لنا، فحفظنا من أن تهلك أرواحنا بأن مات هو مكاننا. وبهذه الكيفية فإن يسوع هو ترس المؤمن. فلا يجب أن نخاف من الشر الموجود في العالم، أو من التجارب التي تهاجمنا كل يوم، فإن يسوع يقف بيننا وبين الشر، وإن كنا نحبه ونؤمن به فعليه تقع مسئولية حفظنا وحمايتنا. أنت لا تخاف من الظلام إن كنت مع أبيك، فهو الترس الذي يحفظك من أن يصيبك أذى. ونحن نثق أن يسوع يمسك بأيدينا كأب محب، كل الحياة، حتى ونحن نواجه ظلمة القبر والموت. لذلك فإننا يجب أن نكون "حاملين فوق الكل ترس الإيمان".

(٣٩)
خوذة الخلاص
"وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ" (أف ٦: ١٧)

الخوذة هي لباس الرأس للجندي. والرأس تحوي أهم أعضاء جسم الإنسان، لذلك فيجب حمايتها بكل عناية. كلكم رأيتم رجال الاطفاء وهم يرتدون خوذاتهم المتميزة، التي بها يحمون رءوسهم وهم يقومون بواجبهم في اطفاء الحرائق. فبينما هم يخمدون حريقاً ما قد تسقط على رأس أي منهم قطعة حجر أو قطعة خشب مشتعلة، ولولا الخوذة فربما يكون مصيره الموت. ولذلك نجدهم دائماً يلبسون خوذاتهم قبل أن يسرعوا لإطفاء الحريق. مرة رأيت أحد رجال الإطفاء بالقرب من مبنى يحترق، ولم يكن مرتدياً خوذته، فسقطت قطعة حجر كبيرة من أحد

الأدوار العليا وأصابته في كتفه. ولو كان اتجاها تغير قليلاً وأصابته في رأسه لكانت قد قتلته بكل تأكيد، فلم يكن مرتدياً خوذة تحميه. ولذلك فإنه يجب على جميع رجال الإطفاء أن يرتدوا الخوذات.

وبنفس الكيفية فإنه يجب على كل مؤمن حقيقي أن يرتدي خوذة الخلاص، فهي التي تحمي روحه من الهلاك. فأنتم تعلمون أن الإنسان ليس فقط الجسم الذي نراه، أو العقل الذي تستخدمونه في استذكار دروسكم، بل أهم من ذلك الروح، التي هي أهم جزء فيكم. منذ فترة ببعيدة حضرت تشييع جنازة طفلة صغيرة. لقد أخذوا جسدها الصغير ووضعوه في القبر، لكن يوجد جزء من تلك الطفلة الصغيرة لم يضعوه في القبر، لأنه قد ذهب ليعيش إلى الأبد مع الله. ذلك هو الروح. والروح هي أفضل جزء في كل منكم. أنها الجزء الذي سوف يحيا إلى الأبد، لذلك فيجدر بنا أن نهتم اهتماماً بالغاً بأرواحنا. والله قد أعطانا السلاح اللازم لحماية أرواحنا. أنه خوذة الخلاص. إن كنت تؤمن بالرب يسوع وتثق فيه وتحبه فأنت ترتدي خوذة الخلاص، ولا يوجد ما يستطيع أن يؤذي روحك. أنك في أمان.

بعض الخوذات لا يستفيد الجندي منها شيئاً. فإن ذهب الجندي إلى ساحة القتال مرتدياً خوذة من ورق فإنها لا تستطيع أن تحمي رأسه. ولن يفيده أيضاً أن يلبس خوذة من خشب، فإن ضربة سيف واحدة سوف تقسمها نصفين، وأنتم تعلمون ماذا سيكون مصيره بعد ذلك. إن أراد ذلك الجندي أن يتمتع بالحماية والأمان فيجب عليه أن يلبس خوذة من فولاذ.

وبنفس الكيفية فإن نوعاً واحداً من الخوذات هو الذي يحمي الروح من الهلاك. إنها خوذة الخلاص. بعض الناس يرتدون أنواعاً أخرى من الخوذات. فالبعض يعتقدون أنهم إذا عملوا صلاحاً أو إحساناً فلن تهلك أرواحهم. وآخرون يظنون أنهم إن كانوا صالحين وطيبين فإن هذا يكفي لخلاصهم. هذه أنواع من الخوذات لا بأس بها، لكنها لا تخلص الروح. فتوجد خوذة واحدة تحفظ الروح من الهلاك، هي خوذة الخلاص. أن نؤمن بالرب يسوع المسيح، المخلص، أن نثق به، ونحبه، ونخدمه.

(٤٠)

سيف الروح

"... وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ" (أف ٦: ١٧)

الآن نأتي إلى آخر قطعة من قطع السلاح الكامل الذي حدثنا بولس عنه، السيف. فإن لبس الجندي كل قطع السلاح الآخرى، لكن لم يكن معه سيف فإنه لا يقدر أن يحارب، لذلك يجب أن نهتم أكثر بما نتعلمه هنا عن السيف. منذ سنوات عديدة، عندما توجوا الملك ادوارد السادس، قدموا له ثلاث سيوف، إشارة إلى أنه ملك انجلترا وايرلندا وفرنسا. فأخذ ادوارد السيوف الثلاثة ووضعها جانباً وقال: "هناك سيف آخر"، فسألوه: "أي سيف؟"، فأجاب: "سيف الروح، الذي هو كلمة الله". ومنذ ذلك اليوم، في كل حفلات تتويج ملوك انجلترا، كانوا يضعون في أيديهم الكتاب المقدس، باعتباره أعظم سيوف الامبراطورية. وبولس يسمى الكتاب المقدس بالسيف. وهناك أمور عديدة تجعلنا ندعوه سيفاً:

فأولاً أنه لا يمكن اهلاكه. والسيف الجيد لا يمكن أن يتلف. في العصور الغابرة كانوا يصنعون سيوفاً ممتازة في مدينة "توليدو" في أسبانيا. كانوا يصنعونها من أفضل أنواع الصلب، لدرجة إنها لم تكن تفقد حدة سلاحها أبداً. ولا تزال بعض هذه السيوف موجودة في أيامنا هذه، ولم تفقد بعد بريقها وحدتها رغم مئات السنين التي انقضت على صناعتها. ونفس الحال يصدق بالنسبة للكتاب المقدس. فكثيرون حاولوا إهلاك الكتاب المقدس طوال ألفي السنة التي انقضت، لكن الله حفظه، وسيحفظه للأبد. وهناك ناحية شبه ثانية بين الكتاب المقدس والسيف. فالسيف يقطع، وهكذا الكتاب المقدس أيضاً. أنه يخترق الإنسان حتى إلى قلبه.

مرة دخل أحدهم كنيسة، ولم يكن قد دخل كنيسة لسنين عديدة، فلم يكن إنساناً صالحاً، وكان في عداوة مع الله، وكان السبب في دخوله الكنيسة تلك المرة أنه أراد أن يهزأ بالواعظ ويسبب له المتاعب. قرأ خادم الله آية موضوعه، وهذه جعلت الرجل ينصت: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦). كانت أمه قد قرأت له نفس الكلمات من الكتاب المقدس منذ سنوات كثيرة، لكن عندما سمع الواعظ يقرأ هذه الكلمات في ذلك الصباح دخلت الكلمات مباشرة إلى قلبه كسيف حاد اخترق نفسه وقادته إلى الإيمان. لهذا فإن الكتاب المقدس يشبه بالسيف. إن أصغينا إلى تعاليمه فإنها تخترق مباشرة إلى قلوبنا. وهناك وجه شبه ثالث بين الكتاب المقدس والسيف. أنه يقتل الشر. في الأيام القديمة، قبل

اختراع البنادق، كان رجال الشرطة يتقلدون سيوفاً طويلة. وعندما كانت تصلهم أنباء وجود لصوص أو قطاع طرق في المدينة كانوا يحملون سيوفهم ويطاردونهم. كانوا يستخدمون السيوف لمحاربة الشر، وهذا ما يفعله الكتاب المقدس. أنه يقضي على الشر. وحيثما يوجد الكتاب المقدس يهرب الشر.

في البحار الجنوبية توجد جزيرة اعتاد أهلها أن يذبحوا البشر ويأكلونهم. كانوا أناساً متوحشين، إلى أن دخل تلك الجزيرة مرسلون يحملون الكتاب المقدس، فتغير أهلها من أكلة للبشر إلى مؤمنين بالمسيح. وفي يوم من الأيام التقى أحد التجار بواحد من رؤساء تلك الجزيرة، وسأله: "ما هو سبب هذا التغيير العجيب الذي طرأ على جزيرتكم؟"، فأجابه "أنه الكتاب المقدس، الذي أزال الشر وحولنا إلى الخير". وهناك أمر آخر عن الكتاب المقدس يجب على كل ولد وبنت أن يذكره باستمرار. فلا يستفيد أحد شيئاً إن كان يضع سيفه جانباً أو يحفظه في مكان ما ولا يستخدمه أبداً. وهكذا الكتاب المقدس، فلن نستفيد منه شيئاً إن كنا نضعه على الرف ولا نقرأه. ينبغي أن نستعمله في كل يوم من أيام حياتنا.

(٤١)

الطاعة

"أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ" (أف ٦: ١)

إن أول درس ينبغي على الجندي أن يتعلمه هو درس الطاعة. وأول ما يعلمه الآباء والأمهات لأولادهم هو الطاعة. منذ عدة سنوات نشب حريق في مبنى مدرسة في احدى المدن

الكبرى. وعندما دق جرس الانذار بالحريق أصاب الأولاد رعب شديد، فابتدأوا يجرون ويتدافعون مسرعين للخروج من المبنى، فأدى ذلك إلى اصابة بعضهم اصابات بالغة. لكن بنتاً صغيرة ظلت جالسة في مقعدها كل الوقت ولم تحاول أن تتحرك، فرأتها مدرستها التي كانت تساعد الأولاد والبنات على الخروج من المبنى بسلام، فأسرعت إليها وسألتها لماذا لم تحاول أن تهرب، وإذا بالبنت الصغيرة تجيب: "أن أبي من رجال الاطفاء، وقد أوصاني أنه إذا حدث حريق في المدرسة فإنه عليّ أن أبقى في مكاني وهو سيصل إلي من النافذة وينقذني". ولقد حدث ذلك تماماً، فلقد أتى والد تلك التلميذة وحملها إلى خارج المبنى. هذه البنت الصغيرة كانت قد تعلمت الطاعة.

وفي أيتنا يأمرنا الرسول العظيم أن نطيع والدينا. وأولاً يجب أن نطيعهم لأننا ندين لهم بالطاعة. عندما كنت صغيراً جداً لا تستطيع أن تفعل أي شيء بنفسك، من الذي اعتنى بك؟ انهما والداك. كانت أمك تطعمك وتلبسك الثياب وتجري هنا وهناك طوال اليوم لأجلك لكي تنمو صحيحاً فلا يصيبك ضرر. وأبوك كان يذهب إلى العمل كل يوم يكسب المال الكافي لكي يوفر لك ما تحتاجه لكي تنمو قوياً صحيحاً، وسعيداً أيضاً. ولولا هذان الأبوان الصالحان لما استطعت أن تعيش يوماً واحداً. ولأنهما فعلا كل هذا من أجلك فيجب عليك أن تكون طيباً من ناحيتهما ولا توجد وسيلة بها تظهر امتنانك لهما، ومعرفتك بجميلهما عليك، أفضل من الطاعة. ويوجد سبب آخر لوجوب طاعة الأولاد لوالديهم، فما يعلمانه عن أي شيء يفوق بكثير ما تعرفه أنت عن نفس الشيئ. بعدما أعلنت الحرب بين

ألمانيا وانجلترا كانت سفينة ألمانية كبيرة محملة بالذهب تعبر المحيط الأطلنطي، وفي احدى الليالي تلقى قائد السفينة أمراً أن يسرع بالدخول إلى أي ميناء أمريكي قبل أن تدركه السفن الحربية الانجليزية وتأسره. فتحير قائد السفينة ولم يعرف ماذا يفعل. لم يكن يستطيع الاستمرار في الابحار بالسفينة، وفي نفس الوقت لم يكن يستطيع أن يرجع من حيث أتى. وبينما هو في هذه الحيرة أتاه أحد الركاب وقال له: "لماذا لا تتجه إلى ميناء بار؟ أننا قريبون جداً منه،وهناك سوف تكون في أمان". فأجابه القبطان: "أنني لا أعرف الطريق إلى هذا الميناء، وأخشى أن اصطدم ببعض الصخور". فأجابه الرجل: "لقد أبحرت بيختي على طول هذا الساحل، وإن سمحت لي أن أقود السفينة فسوف آتي بها بسلام إلى الميناء".

فأخذ القبطان الرجل إلى قائد الدفة وقال له: "اتجه حيثما يخبرك هذا الرجل. أنه يعرف الطريق". فوقف الرجل بجوار قائد الدفة طوال تلك الليلة، يوجهه، وفي الصباح التالي كانوا قد وصلوا إلى الميناء بسلام وبغير أن يصيبهم أي ضرر. إن الأولاد والبنات يشبهون قائد الدفة تماماً. أنهم لا يعرفون الطريق الذي أمامهم، لم يسيروا فيه من قبل، لكن والديهم قد سبقوهم فيه، ويعرفون كل أجزائه خير المعرفة. فإن تعلموا أن يطيعوهم فسوف يتفادون كل الصخور والأماكن الصعبة التي في الطريق. والمشكلة الكبرى هي أن كثيرين من الأولاد والبنات يظنون أنهم يعرفون أكثر مما يعرفه أباؤهم وأمهاتهم، وعندما يسلكون طرقهم الخاصة تصادفهم المتاعب. لا توجد وصية للشباب في

هذه الأيام أفضل من كلمات بولس: "أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ" (أف ٦: ١).

(٤٢)

مرسل في بيته

"اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ، وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ" (مر ٥: ١٩)

يحدثنا الأصحاح الخامس من إنجيل مرقس عن أول مرسل في بيته، فعندما أرسله يسوع قال له: أذهب إلى بيتك وإلى أصدقائك وأخبرهم بالأمور العظيمة التي فعلها يسوع معك. لكن ما هو البيت؟ أين يوجد البيت؟ قد تقول أنه المكان الذي نعيش فيه. نعم، هذا صواب، لكن كلمة "البيت" تعني أكثر من ذلك. فإن كنت في كاليفورنيا مثلاً وذهبت إلى محطة القطار وسألت المعاون أن يعطيك تذكرة إلى "البيت"، فلابد أنه سوف يسألك عن المكان الذي يوجد فيه بيتك، وعندئذ سوف تخبره عن المدينة التي نعيش فيها، ذلك هو "البيت".

كما أن كلمة "بيت" تعني شيئاً آخر. فلو فرضنا أنك كنت في أوربا مثلاً وسألك احدهم أين يوجد بيتك فسوف تقول: "إن بيتي في أمريكا". إذاً فكلمة "بيت" لها عدة معان، فالبيت ليس فقط المنزل الذي نعيش فيه، لكنه أيضاً مدينتك، ومحافظتك، وبلدك. وهذا يجعلنا نفهم ما الذي نعنيه بالإرسالية الداخلية. والمرسل في بيته هو الذي يسعى ليقود إلى الإيمان بالمسيح أولئك الذين يعيشون في بيته، أو في مدينته، أو في محافظته، أو في بلده. ويجب على كل الأولاد والبنات أن يكونوا مرسلين في بيوتهم، أو مرسلين داخليين. مرة كانت هناك

بنت صغيرة لم يكن أبوها مؤمناً، وفي كل ليلة كانت تركع بجوار أمها وتصلي قائلة: "يا رب، من فضلك قد أبي إلى الإيمان". وفي ليلة ما كانت أمها مريضة، فركعت بجوار والدها وصلت صلاتها الصغيرة: "يا رب، من فضلك اجعل أبي يصبح مؤمناً". وبعد أن ذهبت إلى فراشها بدأ والدها يفكر، فقال في نفسه: "إن الوقت قد حان لكي أساعد على استجابة هذه الصلاة". وفي نفس الوقت أصبح مؤمناً. إن تلك البنت الصغيرة كانت مرسلة في بيتها.

ونستطيع أن نكون مرسلين لآلاف الناس الذين لا يحبون يسوع في بلادنا. أسمع أحد الأولاد يقول لي: "أنني لا أستطيع أن أذهب وأخبرهم عن يسوع، فهم كثيرون جداً، وبعضهم يعيش في أماكن بعيدة جداً". لكن هناك شيئاً نستطيع كلنا أن نعمله. أخبرني أحدهم عن ولد صغير من عائلة فقيرة جداً في المدينة. كان قد تعلم القراءة، وكان يتمنى أن يمتلك كتاباً مقدساً، ولم يكن باستطاعته الحصول على الكتاب ما لم يهده أحد إليه. وهل تعرفون أن كثيرين من الأولاد والبنات في بلادنا لم يروا الكتاب المقدس أبداً، ولم يدخلوا مدارس الأحد طوال حياتهم؟. وهذا ما نستطيع أن تعمله لأجلهم. تستطيع أن تساهم في توصيل الكتاب المقدس إليهم. تستطيع أن تخصص جزءاً من المال الذي تنفقه في شراء الحلوى واللعب لمعاونة الإرسالية الداخلية في كنيستك، أو مدرسة الأحد التي تذهب إليها. إن مبلغاً صغيراً من المال يكفي لشراء كتاب مقدس يهدى إلى ولد أو بنت

ممن لا يملكون الكتاب. وهذا العمل أفضل بكثير من أكل الحلوى أليس كذلك؟

ونستطيع كلنا أن نساهم في العمل المرسلي الداخلي بطريقة أخرى. فكلنا نستطيع أن نصلي. عندما نركع في المساء لنسأل الله أن يعطينا الأشياء التي نريدها، فليتنا لا ننسى الأولاد والبنات الذين لا يمتلكون كتباً مقدسة، أو الذين لا يذهبون إلى مدارس الأحد، أو الذين لا يعرفون عن يسوع. إن يسوع يريد أن كل ولد أو بنت يصبح مرسلاً في بيته.

(٤٣)

الطفل صموئيل

"وَأَنَا أَيْضًا قَدْ أَعَرْتُهُ لِلرَّبِّ" (١صم ١: ٢٨)

منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة ولد في إسرائيل طفل اسمه صموئيل. وتوجد عدة أمور مشوقة عن هذا الطفل. فقبل مولده بسنة كانت أمه حنة قد صلت إلى الرب طالبة منه أن يهبها ابناً، ووعدت أن تهبه للرب، إن هو استجاب طلبتها. وبعد ذلك بسنة واحدة أعطاها الرب الابن الذي طلبته بإلحاح، فاحتفظت به معها لعدة سنوات، لكن عندما بدأ الولد يكبر تذكرت وعدها وأخذته إلى شيلوه لتقدمه للرب. بعض الناس يعدون الرب وعوداً كثيرة لا ينفذونها في كل مرة يأتي أب وأم بابنهما لكي يعمد فإنهما يعدان أن ينشئاه في الإيمان، لكنهما بعد فترة قد ينسيان هذا الوعد تماماً. وما أكثر الأولاد والبنات الذين نشأوا نشأة شريرة، وكان في الإمكان أن يصبحوا رجالاً صالحين أو نساء صالحات لو كان والدوهم قد نفذوا العهود التي قطعوها على أنفسهم أمام الرب.

لم تنس حنة وعدها للرب. ربما ارتجف قلبها في داخلها عندما حان موعد تنفيذه، لكنها نفذته. وفي شيلوه كان يوجد كاهن عجوز اسمه "عالي"، فأخذت حنة الطفل صموئيل إليه، وسألته إن كان هناك ما يستطيع ولد صغير أن يفعله في بيت الرب، لأنها تريد أن تقدمه للرب. فأجابها عالي: "نعم، فأنا رجل عجوز، قد ضعف بصري، وأنا محتاج إلى ولد صغير لكي يخدمني. تستطيعين أن تتركيه معي". فرحت حنة، وتركت صموئيل هناك ليخدم عالي – وهذا كان سبيله لخدمة الرب، أن يعتني بخادم الرب العجوز. وربما هذه هي الكيفية التي بها يريد الرب أن يخدمه البعض منا، أن نساعد في توفير حياة كريمة سعيدة لبعض كبار السن الذين لا يقدرون أن يعتنوا بأنفسهم. بعضكم، أيها الأولاد والبنات، لكم أجداد أو جدات بدأت جذوة الحياة فيهم تخمد. ربما لا يستطيعون الرؤية جيداً، أو لا يسمعون بوضوح كما في الماضي، وهم مثل عالي الكاهن العجوز يحتاجون إلى من يعتني بهم.

أعرف بنتاً صغيرة كانت تعيش مع جدها العجوز. كان لا يستطيع أن يرى جيداً، ولذلك فكانت هذه البنت تحضر له الشبشب أو النظارة أو أي شيء آخر قد يحتاج إليه. وعندما كان لا يستطيع أن يقرأ لصغر الحروف كانت تقرأ له. هذا ما كان صموئيل يفعله لعالي. كان يلبي طلباته، ويشعل له النار ليتدفأ عندما يكون الجو بارداً، ويقرأ له من الكتاب المقدس. كثيرون من الأولاد يودون لو يستطيعون أن يخدموا الرب كما فعل صموئيل، والرب يقول لهؤلاء أن يقدموا أية مساعدة لإنسان متقدم في السن، فهم بذلك يخدمون الله.

نشرت احدى الصحف منذ فترة قصيرة قصة رجل فقير وصله خطاب ينبئه بوفاة سيدة أوصت بثروتها له. كان أمراً غريباً، فلم يكن قد سمع من قبل عن تلك السيدة العجوز، وكان مندهشاً يتساءل عن سبب تركها كل ثروتها له. لكنه استلم خطاباً وضح له الأمر، فيه تقول السيدة: "كنت يوماً ما في رحلة طويلة بالقطار، وكنت مهمومة ومضطربة وغير سعيدة، لكن أحداً لم يهتم بي سوى شاب كان لطيفاً وعطوفاً جداً لدرجة أني لا استطيع أن أنساه أبداً. ولذلك فليس لي سواه، لذلك أترك له كل ما أملك". ربما لا نحصل أبداً على مكافأة كهذه عما نعمل من خير لمن تقدموا في الأيام، لكن الله لابد وأن يكافئنا دائماً بأن يسخر من يخدموننا عندما نتقدم نحن في الأيام ونحتاج إلى من يخدمنا.

(٤٤)
طاعة صموئيل
" تَكَلَّمْ يَا رَبُّ لأَنَّ عَبْدَكَ سَامِعٌ" (١صم ٣: ٩)

عندما بلغ صموئيل الثانية عشرة من عمره، سمع في نومه صوتاً يقول له: " صَمُوئِيلُ، صَمُوئِيلُ" (١صم ٣: ١٠)، فقال في نفسه: "لابد أن سيدي عالي يريدني أن أغلق له الباب أو النافذة". فذهب إلى عالي وسأله عما يريده، لكن عالي أجابه قائلاً: "أنني لم أدعك. اذهب ثانية لتنام". ولم ينم صموئيل طويلاً قبلما سمع الصوت ثانية، فقفز من فراشه وجرى إلى عالي وقال له: "هأنذا". لكن عالي قال له: "أنني لم أناديك يا بني، فعد إلى فراشك". وبعد فترة وجيزة سمع الصوت لثالث مرة بكل وضوح: "صموئيل ! صموئيل!". وفي هذه المرة كان

متأكداً أنه لا يوجد أي خطأ، فذهب إلى عالي وقال له: "ها جئت، فأنا متأكد أنك قد ناديتني".

عندئذ عرف عالي أن الرب هو الذي نادى صموئيل، فأفهمه أنه إن سمع الصوت مرة أخرى فعليه أن يجيب قائلاً: "" تَكَلَّمْ يَا رَبُّ لأَنَّ عَبْدَكَ سَامِعٌ" (١صم ٣: ٩). وبعد فترة وجيزة سمع صموئيل النداء مرة أخرى، فأجابه بحسب ما علمه عالي. فأخبر الرب صموئيل بعدة أمور. أخبره أن أسرة عالي سوف تهلك بسبب شر ابنيه، وأخبره أنه عندما يكبر في مخافة الرب فسوف يقضي هو للشعب في مكان عالي. ثم توقف الرب عن الحديث إلى صموئيل، وأقبل الصباح. في ذلك اليوم لم يرد صموئيل أن ينهض من فراشه، لأنه كان يعلم أن عالي سوف يطلب منه أن يعرفه بما تكلم به الرب إليه، ولم يكن يريد أن يخبره، فكلنا نحاول أن نتجنب إخبار أحد بشر عن أقربائه. لكن سرعان ما ناداه عالي، وكان الرجل العجوز قد فقد البصر، وغالباً كان صموئيل يعينه على ارتداء ملابسه كل صباح. لم يرد صموئيل أن يذهب، لكنه عندما سمع عالي يدعوه ذهب.

هنا أمر أودكم أن تتذكروه عن صموئيل. كان ولداً مطيعاً. إن أول درس تعلمه في بيت الله هو الطاعة. وأول ما يجب على كل واحد منا أن يتعلمه هو الطاعة، طاعة والدينا، وطاعة الرب. كان لأحد الضباط في جيش انجلترا ولد يبلغ من العمر خمس عشرة سنة. كانوا يعيشون في إحدى ضواحي لندن، وكان الأب يذهب إلى المدينة يومياً. وفي صباح أحد الأيام، قبيل مغادرة الوالد للمنزل، أمر ابنه أن يذهب إلى كوبري لندن في الساعة الثانية عشرة ظهراً، وأن ينتظره هناك. ثم ذهب الأب

إلى عمله في المدينة، وبقى مشغولاً جداً طوال اليوم لدرجة أنه نسى موعده مع ابنه، إلى أن عاد إلى بيته متأخراً في المساء، فلاقته زوجته عند الباب وسألته: "أين هنري؟"، فأجاب: "لابد أن يكون عند كوبري لندن، فقد طلبت منه أن ينتظرني هناك ثم نسيته تماماً".

رجع الأب بسرعة إلى المدينة، فوصل إلى الكوبري حوالي منتصف الليل، وكان الجو بارداً والمطر يهطل بشدة، لكنه وجد هنري هناك، فقد انتظره طوال اليوم لأنه طلب منه ذلك. هذا الولد، ويدعى "هنري هافلوك"، أصبح فيما بعد واحداً من أبز القادة العسكريين العظماء في تاريخ انجلترا. وعندما صار عجوزاً قال إن أفضل درس تعلمه كل حياته هو الطاعة. وعندما أصبح صموئيل رجلاً عجوزاً كان يوماً ما يتحدث إلى شاب قد عصى الله، فقال له: "إن الطاعة أفضل من الذبيحة". وما قصده بذلك هو أن الله يريدنا أن نقدم له طاعتنا قبل أن نقدم له أي شيء آخر. مرة سمعت عن بنت صغيرة كانت قد عصت أمها، وبعد فترة أحست بالندم الشديد، فمضت واقتطفت باقة من الزهور قدمتها لأمها، لكن الأم قالت لها: أنني أفضل أن أحصل على طاعتك بدلاً من كل ما تستطيعين أن تقدميه لي من زهور". هذا تماماً هو ما قصده صموئيل عندما قال أن الطاعة أفضل من الذبيحة.

(٤٥)
الأمانة العملية

"كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ،
أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ" (أم ١٢: ٢٢)

تذكرون أن الرب أخبر صموئيل في إحدى الليالي عن شر ابني عالي الكاهن، وعن العقاب الذي كان مزمعاً أن يوقعه عليهما بسبب خطاياهما. وفي صباح اليوم التالي طلب منه عالي أن يخبره بما قاله له الرب. ولم يرد صموئيل أن يخبره. ربما لو كان ولد آخر في مكانه لكان قد كذب، أو حذف الجزء المتعلق بقصاص الله لخطايا ابني عالي. لكن صموئيل لم يكن من هذا النوع من الأولاد. لقد كان صادقاً، ولذلك أخبر عالي بكل ما قاله الرب. هذا أمر آخر عن صموئيل يجب علينا أن نتذكره. فقد كان صادقاً. مرة قال احدهم أنه لو لم يكن الولد صادقاً فلا يوجد أساس يستطيع أن يبني شخصيته عليه. وإن كان أساس بيت ما غير متين بالقدر الواجب فإنه حالما تصدمه الرياح يسقط. لهذا فإن الأباء والأمهات يحرصون بتدقيق أن يكون أولادهم وبناتهم صادقين. أنهم يريدون أن تتأسس شخصياتهم على أساس سليم. مرة كتب سير والتر سكوت قصيدة شعرية تقول:

يا للفخ المتشابك الذي ننسجه، عندما نبدأ نتعلم الخداع!

ودعوني أخبركم بما قصده بهذه الأبيات الشعرية فإن حاولت إحدى البنات أن تستخدم خيطاً طويلاً في الخياطة، فأنتم تعلمون ما سوف يحدث. فإن الخيط غالباً ما يتعقد، وعندما تحاول البنت أن تفك عقدة فسينتج عن ذلك عقد أخرى كثيرة، وكلما حاولت أكثر ازدادت العقد، إلى أن يصبح من المستحيل استعمال الخيط، فتذهب البنت وتطلب مساعدة أمها. وهذا هو

ما يحدث تماماً عندما نكذب، فنجد أنه يلزمنا أن نكذب كذبة أخرى لنغطي بها الكذبة الأولى. ثم يتلو ذلك كذبة ثالثة، ورابعة، وخامسة... وهكذا إلى أن نجد أننا قد أدخلنا أنفسنا في فخ متشابك من الخداع والكذب يتعذر علينا أن نخرج منه. والسبيل الوحيد لتفادي ذلك هو أن لا نكذب الكذبة الأولى.

والصدق هو الأمانة، والأمانة هي أن نقول الصدق بأفعالنا. هناك البعض الذين لا ينطقون بكلمة كذب واحدة مهما كان السبب، لكنهم يخدعون الناس بأفعالهم، وهذا أمر ردئ كالكذب تماماً، فنحن نستطيع أن نكذب بأفعالنا تماماً كما نكذب بأقوالنا. أننا نسمى هذا النوع من الكذب "عدم الأمانة". وكثيراً ما يجرب الأولاد والبنات بأن يكونوا غير أمناء. فالولد في المدرسة، الذي يغش إجابات زميل له ويقدمها للمدرس على أنها اجاباته هو، يعتبر غير أمين. أنه بتصرفه هذا يكذب. هناك قصة عن رجل خطبت ابنته للتتزوج مقاول بناء، وفكر الرجل أنه من الأفضل أن يقدم ابنته بيتاً يسكن فيه بدلاً من هدية الزواج، ولذلك فقبل إتمام الزواج ببضعة شهور أرسل واستدعى الخطيب وقال له: "أريدك أن تبني لي أفضل منزل صغير تستطيع أن تبنيه، وأن تستخدم لذلك أفضل المواد وأمهر العمال". ولم يكن ذلك الإنسان أميناً كما ينبغي، فظن أنه لا بأس من استخدام الغش قليلاً، ولذلك فبدلاً من استخدام أفضل المواد استخدم أردأها، وبدلاً من تشغيل أمهر العمال شغل أقلهم مهارة وأجراً. وبعد فترة تم بناء المنزل، وأتى الرجل ليراه. كان يبدو جميلاً، ولم يستطع الأب أن يعرف كيف عومل بغش. وبعد أن تفقد أرجاء المنزل قال للمقاول: "أنك سوف

تتزوج ابنتي، ولقد كلفتك أن تبني لي هذا المنزل لأقدمه لك هدية بمناسبة زواجك بابنتي".

عندئذ أدرك ذلك الإنسان أنه بينما كان يحاول أن يغش شخصاً آخر إذا به يغش نفسه، فكانت الخسارة خسارته هو. هذا هو ما يحدث باستمرار في عالمنا، فمن يكن غير أمين مع الآخرين فسيجد نفسه مضطراً أن يسكن في نفس البيت المتداعى الذي بناه لغيره. لذا يجدر بنا أن نكون أمناء في أقوالنا وأفعالنا أيضاً.

(٤٦)
هدايا عيد الميلاد
" مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ" (أع ٢٠: ٣٥)

إذا رجعتم إلى الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا فسوف تقرأون في العدد السادس عشر منه عن أول هدية لعيد الميلاد في التاريخ: "١٦لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦). هذه كانت أعظم وأقيم هدية عرفها العالم. أنها هدية الله لنا، شخص ابنه الوحيد، الذي أهداه لنا في أول ليلة عيد ميلاد في التاريخ منذ ألفي سنة تقريباً. وهذا هو السبب في أننا نقدم هدايا للفقراء في عيد الميلاد، لأنه في نفس هذا العيد قدم الله لنا هديته العظمى التي لا تقدر بثمن، شخص ابن الله الوحيد.

وأيتنا تتناسب تماماً مع مناسبة عيد الميلاد، بل تناسب كل الأوقات، فإنه "مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ" (أع ٢٠: ٣٥). ودعونا نفكر في سبب أو أكثر لكون العطاء مغبوطاً أكثر من الأخذ:

فأولاً نجد أن العطاء يجعلنا أكثر غنى من الأخذ، ليس غنى في المال، لكن في أمور أفضل وأهم بكثير من المال. في ولاية نيويورك توجد بحيرة يصب فيها عدد كبير من النهيرات، ويخرج منها نهر واحد كبير ليسقي مدينة نيويورك العطشى. وفي كل يوم تقدم هذه البحيرة كميات كبيرة من الماء للمدينة العظيمة. أنها تعطي، وتعطي، وتعطي.. ماء نقياً عذباً. وسوف يستمر ماؤها عذباً ونقياً طالما هي تعطي. وفي فلسطين توجد بحيرة أخرى تصب فيها نهيرات عديدة، لكن لا تخرج منها أنهار. هذه البحيرة تأخذ كل ما يعطي لها، لكنها لا تعطي قطرة ماء لغيرها. هل تعلمون ما هو اسم تلك البحيرة؟ إن اسمها "البحر الميت". ولقد سميت بهذا الاسم لأن ماءها سام. لا يستطيع كائن حي أن يعيش فيها، وليس من المأمون أن تبنى البيوت على شواطئها. إن البنت أو الولد الذي يأخذ باستمرار ولا يعطي أبداً غالباً ما يصبح بعد فترة إنساناً أنانياً يتجنبه الآخرون. لكن أولئك الذين يعطون سوف يصبحون كرماء ولطفاء يحبهم كل الناس.

وثانياً فإن العطاء يجعلنا أكثر سعادة من الأخذ. أعرف أحد فصول مدارس الأحد تعود الأولاد فيه أن يقدم كل منهم هدية للآخرين في عيد الميلاد. وفي سنة ما قرروا أن يغيروا هذه العادة، فجمعوا المال الذي كانوا سينفقونه في شراء الهدايا

لبعضهم البعض واستخدموه في إسعاد بيت فقير حيث لا يعرفون عيد الميلاد ولا هدايا عيد الميلاد. ويا للوقت السعيد الذي قضوه في الاستعداد لتلك المناسبة! وفي الليلة التي تسبق عيد الميلاد مباشرة ذهبوا جميعاً إلى ذلك البيت، وأقاموا شجرة عيد الميلاد للأطفال الصغار فيه، وعلقوا عليها ما أحضروه معهم من هدايا لمن في البيت. وقد وصف أحدهم ذلك العيد فقال: "لقد كان أجمل وأسعد عيد ميلاد في كل حياتنا". حقاً "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ". ولعل أعظم وأهم سبب يجعل العطاء مغبوطاً أكثر من الأخذ هو أننا عندما نعطي الفقراء، فأننا في الواقع نعطي يسوع نفسه.

توجد قصة طريفة عن رجل كان عائداً من عمله في ليلة عيد الميلاد. كان يفكر في أطفاله، وفي الوقت السعيد الذي سوف يقضونه معاً في اليوم التالي، وفجأة رأى ولداً يسير في الشارع في ثياب مهلهلة وقد كاد يتجمد من الجوع والبرد. فتوقف، وسأله عن مكان سكنه، فأجابه بأنه ليس له بيت. فحمله الرجل بين ذراعيه وأخذه معه إلى بيته، وقدم له بعض الطعام، ثم وضعه في الفراش لينام مع أولاده. وعندما ساد الهدوء البيت، بدأ الأب والأم يعدان هدايا عيد الميلاد لأولادهما. لكن لم تكن لديهما هدية للطفل الصغير الغريب. كانا فقيرين جداً، وكانا قد بدآ منذ فترة طويلة يدخران بعض المال لكي يشتريا به بطة لعشاء اليوم التالي، فناقشا الأمر، وقررا أن يستبدلا البطة بعشاء عادي حتى يستخدما ما لديهما من مال في شراء هدية عيد الميلاد للولد الفقير الغريب. ولذلك فعندما

استيقظ الأولاد في صباح اليوم التالي وجدوا زوجاً من الأحذية وبعض الملابس الجديدة للولد الصغير.

وكم كان سعيداً! وبعد فترة اجتمعوا جميعاً للصلاة وطلب من كل من الحاضرين أن يذكر آية من الكتاب، وعندما جاء دور الولد الغريب قال: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت ٢٥: ٤٠). وفجأة اختفى من أمامهم. لقد كان يسوع نفسه هو الذي زارهم في عيد الميلاد. عندما نقدم إحساناً لأحد المتألمين أو المحتاجين فإننا نقدمه ليسوع. أنه" مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ" (أع ٢٠: ٣٥).

(٤٧)

أفضل حياة للعام الجديد

" يَارَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟" (أع ٩: ٦)

عندما يتقابل احدكم مع إنسان لا يعرفه فإنه غالباً ما يسأله هذا السؤال: ترى ماذا تريد أن تكون عندما تكبر؟". بعضكم يريد أن يكون رجل أعمال مثل والده، والبعض يريدون أن يصبحوا محامين، أو أطباء.. وأرجو أن بعضكم يتوقون أن يصبحوا خداماً للأنجيل، فهذا هو أفضل الكل. بعض البنات يرغبن أن يصبحن مدرسات، وغيرهن يتمثلن بأمهاتن ويردن أن تكون لهن بيوت وأولاد ليتعنين بهم. وأنه لأمر هام أن يقرر الإنسان ما سيكونه في مستقبل حياته، لكن يوجد ما هو أكثر أهمية بكثير، وهو نوع الحياة التي سوف نحياها في المستقبل، أو في هذه السنة الجديدة مثلاً، فأنتم تعرفون أن لكل منا حياة واحدة ليحياها، ولذلك فإننا نحاول أن نجعلها أفضل ما نستطيع.

لكن ترى كيف نستطيع أن نحيا أفضل حياة؟

أولاً يمكننا أن نجعل حياتنا تطابق خطة الله لنا بقدر ما نستطيع. عندما كانت هذه الكنيسة الكبيرة تبنى كنت معتاداً أن آتي وأقابل البناء كل يوم. كانت لديه بعض الرسومات على لوحات زرقاء أعدها المهندس المعماري، وكانت مهمته أن يتمم البناء مطابقاً لهذه الرسومات تماماً. والله قد أعطانا خطة لحياة كل منا، نستطيع أن نجدها بكل استطاعنا أن تكون حياتنا أشبه ما تكون بحياة المسيح كما سجلها الكتاب المقدس. معظمكم يعرف لعبة الصور المقسمة، فهي تكون – كما تعلمون – من أجزاء كثيرة لصورة ما، لها أشكال غير منتظمة. ويحاول من يلعب هذه اللعبة أن يكون من الأجزاء صورة كاملة كما في الرسم الموجود باللعبة، فإنه بالنظر إلى هذا الرسم تستطيع البنت أو الولد أن تجمع الأجزاء معاً في صورة كاملة.

وحياتنا تشبه كثيراً لعبة مثل هذه. ففيها الكثير مما قد لا نستطيع فهمه، لكن الله أعطانا – مع حياتنا – خطة ترينا ما يجب علينا أن نعمله. فإن كنا نستشير الكتاب المقدس كل يوم فسنعرف كيف ينبغي أن نحيا كأفضل ما تكون الحياة. كانت لدى ابنتي الصغيرة واحدة من هذه الألعاب، وكانت تحب أن تلعب بها كثيراً، إلى أن أتى أخوها الصغير يوماً وقطع الصورة الأصلية للعبة، وعندئذ أصبح من المتعذر عليها أن تجمع أجزاء الصورة معاً كما كانت تفعل من قبل. وبنفس الكيفية فهناك بعض الناس الذين فقدوا كتبهم المقدسة، وأصبحوا لا يعرفون كيف يعيشون. إن كنت تريد أن تحيا أفضل وأسعد حياة فعليك أن تحرص كل الحرص ألا تفقد خطة الله لحياتك. عليك أن تقرأ وتدرس الكتاب المقدس باستمرار.

وهناك أمر آخر. ففي كل ما نعمل علينا أن نسأل هذا السؤال: "هل هذا هو ما يريدني الله أن أفعله؟". يوجد في انجلترا ملجأ كبير للأيتام، يعتني بعدد كبير من الأولاد والبنات الذين ليس لهم آباء أو أمهات، بُني منذ سنوات كثيرة مضت حينما خصص أحد التجار كل أمواله لهذا الغرض. وإن تصادف وزرت هذا الملجأ فسوف يطلعونك على دفاتر الحسابات التي كان ذلك التاجر يدون فيها معاملاته، وفي أعلى كل صفحة في بداية كل يوم كان يكتب هذه العبارة: "لمجد الله". ففي كل معاملاته التجارية كان يفكر في تمجيد الله. وعندما فارق الحياة ترك كل ما يملك "لمجد الله"، وللعناية بالأطفال الأيتام. يا لها من قاعدة مجيدة للسلوك! عندما نذهب للعب، مهما عملنا، فنضع في قلوبنا وعقولنا أن نفعل الكل بالكيفية التي يريدنا الرب أن نكون عليها، فهذا هو السبيل الأكيد للحياة الفضلى السعيدة.

مرات يسأل بعض الشبان: "هل من الخطأ أن افعل هذا الأمر؟". ويذكرون بعض المسرات التي يحبونها جداً. وتوجد إجابة واحدة لكل هذه الأسئلة إن كنت لا تستطيع أن تقرأ كتاباً ما "لمجد الله" فالأفضل لك ألا تقرأه. إن كنت لا تستطيع أن تذهب إلى حفلة ما "لمجد الله" فالأفضل لك ألا تذهب لتلك الحفلة. إن كنت لا تستطيع أن تصادق شخصاً ما "لمجد الله" فالأفضل ألا تتخذه صديقاً لك، فأن تفقد صداقته خير لك من أن تفقد سر سعادتك في الحياة.

(٤٨)
القيامة

" أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ" (يو ١١: ٢٥)

بعدما صلب يسوع وضعوا جسده في قبر منحوت في الصخر، وثبتوا حجراً على باب القبر، وظنوا أن هذه هي نهايته. لكنها لم تكن النهاية، فبعد ثلاثة أيام أتت مريم المجلية إلى القبر، كما يفعل الكثيرون في هذه الأيام إذ يذهبون إلى المقابر يوم أحد القيامة ليضعوا زهوراً على قبور أحبائهم. ولذلك فحينما ترى سيدة تضع زهوراً على قبر عزيز لديها تذكر مريم المجدلية التي ذهبت في فجر أحد القيامة إلى قبر يسوع. وعندما وصلت إلى القبر وجدت الحجر قد دحرج عن باب القبر، والقبر نفسه كان فارغاً ليس به جسد يسوع!

في الأول ظنت أن الجسد قد سرق، وعندما استدارات راجعة رأت رجلاً يقف هناك، فظنته البستاني، وسألته إن كان يعرف ماذا حدث لجسد يسوع. عندئذ كلمها، فعرفت أنه يسوع، وأنه قد قام من بين الأموات، فعرفت أنه يسوع، وأنه قد قام من بين الأموات، وخرج من القبر، وها هو حي. كل منا له عزيز قد مات، وحملنا جسده ووضعناه في القبر. عندئذ أحسسنا بحزن عميق، لأننا ظننا أننا لن نراه ثانية. لكننا سوف نراه، فكما أن يسوع مات وقام هكذا سوف يقوم أحباؤنا من الموت.

عندما تنام بالليل لا تعرف شيئاً مما يدور حولك لعدة ساعات، لكن سرعان ما يأتي صباح اليوم التالي وتقوم من رقادك بكل نشاط لتبدأ يوماً جديداً. وقد علمنا يسوع أن الموت كالرقاد تماماً، فعندما يموت الناس فهم يرقدون لفترة ما، ونحن نضع أجسادهم جانباً تماماً كما نفعل بأجسادنا عندما ندخل

إلى فراشنا لننام، لكن بعد فترة سوف يناديهم الرب ليقوموا من الموت، كما ينادي الأب ابنه كل صباح ليقوم من النوم. بعض الأولاد يقولون لي: "كيف سوف يجمع الله الجسد ويقيمه مرة أخرى؟". أننا لا نعلم كيف سوف يفعل ذلك، لكن الله يستطيع أن يفعل أموراً كثيرة لا نستطيع نحن أن نفعلها، أموراً لا نعرف نحن عنها شيئاً. إن بعض الناس يأتون أفعالاً عجيبة وعظيمة لا نستطيع نحن أن نعمل مثلها، فكم بالحري الله الذي هو أعظم وأقوى من جميع الناس!

أخبرني أحدهم عن عامل كان يشتغل في صناعة كأس فضية جميلة، وإذا بها تسقط من يده في إناء به حامض مركز جداً، فذابت الكأس واضمحلت ولم يبق منها شيء، فأخذ محلولاً آخر ووضعه في الإناء وإذا بالفضة تنفصل عن الحامض، فأخذها وبدأ يصنع منها كأساً فضية من جديد. وبنفس الكيفية نحن نؤمن أنه بعد أن تضمحل الأجساد فإن الله يستطيع أن يجمعها ثانية، وأن يقيمها للحياة مرة أخرى. ولد آخر قال لي: "أي نوع من الأجساد سوف يكون لنا عندما نقوم ثانية؟ هل سوف يكون مثل الجسد الذي لنا الآن؟". كلا. إن الله يخبرنا بغير ذلك. لقد حدثنا بمثل حبة القمح، فعندما نزرع حبة القمح في التربة فإنها بعد فترة تبدأ في الانبات. لكن ما يظهر على سطح الأرض ليس الحبة التي زرعناها، بل نبات يشبهها كثيراً. كذلك فإن الجسد الذي سوف يعطيه لنا الله بعد القيامة ليس هو جسدنا الحالي، لكنه يشبهه كثيراً.

ولا أعتقد أننا نرغب أن تكون أجسادنا في السماء هي نفس الأجساد التي لنا على الأرض، فنحن عندما نذهب للكنيسة لا

نلبس نفس الثياب التي نلبسها عندما نذهب للعب. كذلك فإن الروح لابد وأن تلبس ثوباً مختلفاً عندما تذهب للسماء. إن كل سبب سعادتنا في أحد القيامة هو أن يسوع قد قام من الأموات، لذلك فيجب علينا أن نشكر الله كل يوم لأجل قيامة يسوع، فهي عربون قيامة أحبائنا الذين رقدوا، وقيامتنا نحن أيضاً.

****

رقم الإيداع ٢٧٤٢ / ١٩٨٢
الترقيم الدولي ١ – ٥٠ – ٧٣٣٣ - ٩٧٧